الأربعاء 22 تشرين الثاني 2023
العدد 5068 السنة الثامنة عشرة
Mercredi 22 Novembre 2023 nº 5068 18ème année

20 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

ميديا

فرح عمر وربيع معماري شهدا بالصوت والصورة و... الدم

18

إسرائيل وأميركا تتنازلان
بداية نهاية الجنون؟

(أ ف ب)

تحتجب «الأخبار» غداً لمناسبة عيد الاستقلال

طوفان الأقصى

إسرائيل تمضي مرغمةً إلى التبادل
ملامح انتصار أول للمقاومة

وفقاً لما أعلنه قادة الأطراف المعنيّة بالحرب الدائرة في قطاع غزة، فإن الاتفاق حول الهدنة وتبادل الأسرى وإدخال المساعدات الإنسانية إلى القطاع، بين إسرائيل وحركة «حماس»، صار منجزاً بالكامل، على رغم وجود فروقات غير جوهرية في الصيغ التي أوردها الطرفان الفلسطيني والإسرائيلي للاتفاق. وكان واضحاً أن العدو يمضي مرغماً إلى تلك الصفقة، أساساً بسبب فشل جيشه في تحصيل ولو حتى معلومة واحدة عن الأسرى بعد 45 يوماً من العدوان، ما دفع بذويهم إلى رفع مستوى الضغط على القيادة السياسية للموافقة على الصفقة التي تمثّل انتصاراً أولَ للمقاومة الفلسطينية.

وذكر موقع «واينت» الإسرائيلي أن «حماس» «ستطلق بموجب الاتفاق عدداً أولياً من الأسرى يبلغ 53، وستحاول إتباعهم بعشرين آخرين، وتوافق إسرائيل في المقابل على هدنة من أربعة أيام، أي أقصر بيوم من المهلة التي طالبت بها الحركة». كما تتضمّن الصفقة، بحسب الموقع، «بدءاً بنص على تمديد الهدنة لمدّة يومين إضافيين إذا أطلقت المقاومة نحو 20 أسيراً آخر. وكذلك، فإن إسرائيل ستكون مستعدّة لتمديد إضافي للهدنة إلى أكثر من الأيام الستة، بشرط إطلاق المزيد من الأسرى». وتشير تلك النسخة إلى أن «إسرائيل تلتزم بموجب الاتفاق بوقف الهجمات الجوية فوق قطاع غزة لمدّة ستّ ساعات كل يوم، خلال الأيام الأربعة الأساسية، فيما تحاول حماس تحديد مواقع الأسرى الباقين»، وتقول إن «الحركة أصرّت على ذلك، لمنع إسرائيل من تلقّي أمكنة الاحتجاز». والافتراض، بالنسبة إلى إسرائيل، هو أن بعض الأسرى العشرين الإضافيين يشملون أمهات وأولاداً لم يُطلق سراحهم في المرحلة الأولى، فيما من المتوقع أن يشمل التبادل إطلاق الأسيرات الكبيرات في السن.

وفي المقابل، سيُطلق العدو، بحسب الموقع الإسرائيلي نفسه، ما «بين 140 و150 أسيراً، بمن فيهم نساء وأطفال. وسيُسمح بدخول الوقود إلى قطاع غزة، وزيادة المساعدات الإنسانية إليه». ويؤكّد «واينت» أن «هذه الترتيبات ستحفّز حماس على إطلاق المزيد من الأسرى لتمديد وقف إطلاق النار. كما ثمّة احتمال بأن يصل عدد المطلق سراحهم إلى مئة. وإذا حصل ذلك، فستطلق إسرائيل 300 أسير فلسطيني، وقد يُمدَّد وقف النار إلى عشرة أيام». ويؤكد الموقع أنه بحسب المعلومات الأخيرة، ثمة 236 أسيراً إسرائيلياً في قطاع غزة بينهم 40 طفلاً و13 أمّاً، فيما يقدّر العدو أن «حماس تحتجز 80 أسيراً تنطبق عليهم معايير الصفقة، أي أطفال وأمهات ونساء كبيرات. وعليه، إذا كان هذا هو عدد المطلق سراحهم، فستقوم إسرائيل بإطلاق 240 أسيراً فلسطينياً وتلتزم بهدنة مدّتها ثمانية أيام».

> عارض جيش العدو ابتداءً الصفقة باعتبار أن أيّ وقف للنار سيعطي «حماس» فرصة لإعادة استجماع قوتها

من جهتها، نقلت وكالة «فرانس برس» عن مصدرين قريبَين من الملفّ قولهما إن الاتفاق سيشمل إطلاق سراح «50 إلى 100» من الأسرى المدنيين الإسرائيليين، مقابل الإفراج عن 300 امرأة وطفل فلسطينيين تحتجزهم إسرائيل. وأشارت الوكالة إلى أن عملية التبادل ستتمّ على مراحل بمعدل «عشرة» رهائن إسرائيليين، مقابل «ثلاثين» أسيراً فلسطينياً يومياً. وتختلف تفاصيل الاتفاق، كما كانت قد أوردتها حركة «حماس»، عن ما نشره موقع «واينت»، إذ تحدّثت نسخة الحركة عن هدنة لمدة خمسة أيام، يتمّ خلالها إطلاق نحو 50 من الأسرى غير العسكريين والأجانب، مقابل إفراج إسرائيل عن 300 امرأة وطفل من سجونها. وتفيد تلك النسخة بأن توقّف القتال يُفترض وقف الطلعات الجوية فوق غزة باستثناء شمال القطاع، حيث ستقتصر الطلعات الجوية على ستّ ساعات يومياً خلال مدة الهدنة». كذلك، سيُسمح بدخول 300 شاحنة تحمل وقوداً وأغذية ومواد طبية إلى كلّ مناطق القطاع، بينما سيتمّ إطلاق سراح الإسرائيليين على خمس دفعات بواقع عشرة أسرى كلّ يوم. وحتى ساعة متأخرة من أمس، كان كلّ الأطراف المشاركين في التفاوض على الصفقة، أي «حماس» والولايات المتحدة وإسرائيل، قد أجمعوا في تصريحات لرأس قمة الهرم لدى كلّ منهم على اقتراب موعد إعلانها. وقال الرئيس الأميركي جو بايدن، للصحافيين في البيت الأبيض: «إننا قريبون جداً، قريبون جداً من اتفاق، وسنتمكن من إعادة بعض من هؤلاء الرهائن إلى عائلاتهم قريباً جداً»، مضيفاً: «أنني لا أريد الخوض في التفاصيل، لأنه لا يحصل شيء، إلا حين يحصل فعلياً. لكنّ الأمور تبدو جيدة راهناً». وفي الاتجاه نفسه، أكد رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، قرب التوصل إلى الاتفاق، رغم أنه قرّن ذلك بالتأكيد أن الحرب ستستمرّ بعد انتهاء مدّة الهدنة. وكان عقد مجلس وزراء الحرب اجتماعاً مساء أمس، قبل أن تجتمع الحكومة الأمنية الموسّعة، وبعدهما الحكومة بكاملها، علماً أن الأخيرة هي المخوّلة بإقرار الصفقة.

ذوو الأسرى الإسرائيليين رفعوا مستوى الضغط على الحكومة للقبول بالصفقة (أ ف ب)

وفي مؤتمر صحافي لنتنياهو، ووزير الحرب يوآف غالانت، والوزير بني غانتس، بعد اجتماع مجلس الحرب وقبيل اجتماع الحكومة للنظر في الصفقة، بدا الثلاثة متهيّبين، وسعوا إلى تقديم التبريرات أمام الجمهور. وقال نتنياهو إن الحكومة الإسرائيلية تواجه قراراً صعباً لكنه القرار الصحيح، مضيفاً أنه «سيتمّ إطلاق سراح الرهائن على مراحل»، وأنه طلب «من الرئيس الأميركي التدخل. وبالفعل ساعد في تحسين الاتفاق ليشمل المزيد من الرهائن»، مؤكداً أن «الحرب مستمرة وستستمرّ حتى تحقيق النصر المؤزّر وإعادة جميع الرهائن»، وأن «القيادات الأمنية تدعم القرار بالكامل، وتقول إن الاتفاق سيسمح للجيش بالاستعداد لمواصلة القتال». وتابع أنه سيكون هناك وقف للنار لعدّة أيام، لكنّ التفاصيل ليست واضحة بعد.

> يتعرّض الأطفال الأسرى لعقوبات تنكيل وانتقام، تبدأ بعمليات الاقتحام الوحشي، وتصل إلى حدّ المسّ بمقوّمات الحياة البسيطة

وكان نتنياهو وأركان حكومته يرفضون فكرة الهدنة من الأساس، إلا أنهم تعرّضوا خلال الأيام الماضية لضغوط هائلة، خصوصاً من جانب عائلات الأسرى، لعقد صفقة تفضي إلى إطلاق سراحهم، خاصة في ضوء فشل الجيش الإسرائيلي بعد 45 يوماً من بدء العدوان على غزة، في إطلاق سراحهم أو حتى تحديد مواقعهم أو الحصول على معلومات عنهم. ومع ذلك، استمرّ الوزيران اليمينيان المتطرفان في حكومة العدو، وزير المالية بتسلئيل سموتريتش، ووزير «الأمن القومي» إيتمار بن غفير، من جهتهما، في معارضتهما للصفقة. وقبل اجتماع الحكومة، قال سموتريتش في بيان إنه إذا كانت التقارير صحيحة، فإن «الصفقة المقترحة سيئة ويجب ألا نوافق عليها. إنها سيئة لأمن إسرائيل وسيئة للرهائن وسيئة لجنود الجيش الإسرائيلي». لكن الأهمّ هو أن الجيش كان يعارض الاتفاق باعتبار أن أيّ وقف للنار سيعطي «حماس» فرصة لإعادة استجماع قوتها، قبل أن يظهر أن رئيس الأركان، هرتسي هليفي، قد لَيّن من موقفه هذا. وقال الناطق باسم الجيش، دانيال هاغاري، إن «هناك تقدماً في اتجاه إطلاق سراح الرهائن، لكنني أوصي بالانتظار حتى يتمّ الانتهاء من التفاصيل».

على المقلب الفلسطيني، أعلن رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، إسماعيل هنية، في بيان من الدوحة صباحاً، أن الحركة «سلّمت ردّها إلى الإخوة في قطر والوسطاء. ونحن نقترب من التوصّل إلى اتفاق الهدنة». كذلك، نقلت قناة «الجزيرة» عن القيادي في الحركة، عزت الرشق، قوله إن المفاوضات تتركّز على مدّة الهدنة وترتيبات إيصال المساعدات إلى غزة ومبادلة الأسرى، مضيفاً أن «الجانبَين سيُطلقان سراح النساء والأطفال، وأن قطر، التي تتوسّط في المفاوضات، ستعلن التفاصيل». وأشار الرشق إلى أنه «كانت هناك مماطلة من الجانب الإسرائيلي لإتمام اتفاق الهدنة، وخاصة من قِبل نتنياهو»، مضيفاً أن الإسرائيليين «يحاولون التفاوض في ظلّ العدوان لكسر المقاومة، وهذا لن يحدث». بدوره، أكد المتحدّث باسم وزارة الخارجية القطرية، ماجد الأنصاري، في مؤتمر صحافي في الدوحة، أن «الوساطة وصلت إلى مرحلة حرجة ونهائية وتجاوزت القضايا الجوهرية والمحورية، والمتبقّية هي قضايا محدودة، وبالتالي هذا يعني (أنها) في أقرب نقطة للوصول إلى اتفاق منذ بداية هذه الأزمة».

(الأخبار)

قائمة طويلة من النساء والأطفال: أسرى فلسطين يترقبون الحرية

رام الله - **أحمد العبد**

في أيلول عام 2009، وضعت «كتائب القسام» الأسيرات في سجون الاحتلال على قائمة أولوياتها للإفراج عنهن في أيّ صفقة تبادل مع الاحتلال؛ وهو ما حصل حين استطاعت «القسام» انتزاع حرية 20 أسيرة، مقابل شريط مصوّر مدّته دقيقة واحدة، كشفت فيه مصير الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط. واليوم، عادت الأسيرات ليتصدّرن مشهد صفقة التبادل التي يُنتظر إتمامها بين المقاومة والاحتلال، والتي يُفترض أن تشمل الإفراج عن الأسيرات النساء والأطفال. ووقف إطلاق النار لمدّة 5 أيام في غزة، إلى جانب إدخال المساعدات بكميات أكبر إلى القطاع. وفي هذا السياق، أفادت مصادر مطلعة، «الأخبار»، بأن المقاومة تعمل، منذ بداية الحرب، على «إعداد كشوف الأطفال والنساء الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية لحصرهم والوقوف على أسمائهم والأرقام الدقيقة الخاصة بهم»، مشيرة إلى أنه «بعد مصادقة المسوّيَين الأمني والسياسي في إسرائيل على الصفقة، سيتمّ نشر أسماء الأسرى والأسيرات الذين سيتمّ الإفراج عنهم، لعرضها أمام الجمهور للطعن في ذلك أمام المحكمة (العليا)، ومن ثمّ سيتمّ تنفيذ أولى مراحل (الصفقة) يوم الخميس (بعد غد)».

وعلى رغم تأكيد جميع الأطراف قربَ إتمام التبادل، إلا أن الاحتلال قد يعود إلى الإخلال به، نظراً إلى وجود خلافات عميقة بين أعضاء مجلس الحرب الإسرائيلي، وإنْ كان ذلك مستبعداً بسبب الضغوط الأميركية المتواصلة على رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، من أجل الإفراج عن الأسرى، وارتفاع حدّة الاحتجاجات داخل إسرائيل من قِبل عائلاتهم، فضلاً عن فشل جيش الاحتلال، إلى الآن، في تحقيق أيّ إنجاز عسكري في غزة، وخاصة في هذا الملفّ، إضافة إلى الارتفاع في عدد جنوده القتلى. وعلى هذه الخلفية، يعيش الأسرى الأطفال والنساء في سجون الاحتلال ساعات حاسمة، بعد سنوات من التنكيل بهم، علماً أن عدد الأطفال تراوح، حتى نهاية تشرين الأول الماضي، ما بين 200 و250 طفلاً يقبعون في سجون «عوفر» و«مجدو» و«الدامون»، ومن بينهم 26 طفلاً رهن الاعتقال الإداري. أمّا بخصوص الأسيرات، فتشير آخر الإحصائيات إلى وجود 88 أسيرة في سجون الاحتلال، أقدمهن ميسون موسى من بيت لحم، المعتقلة منذ حزيران 2015، والتي تمضي حكماً بالسجن لمدّة 15 عاماً، وأصغرهن الأسيرة نفوذ حماد (16 عاماً) التي حُكم عليها بالسجن لمدّة 12 عاماً قبل أيام فقط، بتهمة «محاولة قتل مستوطنة والتسبّب بإصابتها بصورة طفيفة»، إثر عملية طعن.

ويتعرّض الأطفال الأسرى لعقوبات تنكيل وانتقام، تبدأ بعمليات الاقتحام الوحشي، وتصل إلى حدّ المسّ بمقوّمات الحياة، ومنها الطعام، والعلاج، والماء، والكهرباء. وبحسب الشهادات الموثّقة للمعتقلين الأطفال والتي تنشرها مؤسسات الأسرى، فإنّ غالبية الذين تمّ اعتقالهم، تعرّضوا لشكل من أشكال التعذيب الجسدي والنفسي منذ لحظة الاعتقال حتى لحظة الإفراج عنهم، في محاولة لانتزاع الاعترافات منهم، وإجبارهم على التوقيع على أوراق من دون معرفة مضمونها. وتتمثّل الانتهاكات الجسيمة التي يتعرّض لها هؤلاء في اعتقالهم ليلاً، والاعتداء عليهم بالضرب المبرّح أمام ذويهم، وإطلاق النار عليهم خلال اعتقالهم، وإبقائهم مقيّدي الأيدي والأرجل ومعصوبي الأعين قبل نقلهم إلى مراكز التحقيق والتوقيف، بالإضافة إلى حرمانهم من الطعام والشراب لساعات، وتحديداً في الفترة الأولى من الاعتقال، وحرمانهم من حقّهم في المساعدة القانونية، وكذلك بعدما قام والده بتسليم نفسه لقوات الاحتلال لاحقاً. وسُجّلت في خلال الشهر الجاري، 145 حالة اعتقال في صفوف الأطفال، ومعظمها في القدس، علماً أنّ غالبيتهم يتمّ الإفراج عنهم بشروط، منها شرط الحبس المنزلي الذي يشكّل أخطر السياسات التي يمارسها الاحتلال بحقّهم. ومن بين هؤلاء، الطفلة الجريحة أسيل شحادة (17 عاماً) من مخيم قلنديا، والتي أطلق عليها جنود العدو النار من أمام حاجز قلنديا العسكري في السابع من الشهر الجاري، وتقبع اليوم في سجن «الرملة» في ظروف قاسية.

> إطلاق سراحهم بكفالة وتتعمّد إبقاءهم في السجن خلال فترة المحاكمة

أما أبرز حالات الاعتقال في صفوف الأسيرات، فالأسيرتان شروق دويات، وشاتيلا أبو عيادة، اللتان تمضيان حكماً بالسجن لـ 16 عاماً، وعائشة الأفغاني المحكوم عليها لمدة 13 عاماً، بالإضافة إلى عدد من الأسيرات المعتقلات إدارياً، ومن بينهن رغد الفني، سماح عوض، حنان البرغوثي، وفاطمة أبو شلال. وثمة في صفوف الأسيرات أفراد من عائلاتهم لتسليم أنفسهم. وكان أبرز هذه الحالات، احتجاز طفل من بلدة بيت لقيا في رام الله، عمره ثلاث سنوات، لساعة ونصف ساعة قبل إطلاق سراحه، وذلك بعدما قام والده بتسليم نفسه لقوات الاحتلال لاحقاً. وسُجّلت في خلال وجود أحد ذويهم. يُضاف إلى ما تقدّم، توجيه الشتائم إليهم وإطلاق كلمات بذيئة ومهينة بحقّهم، والاستمرار في احتجازهم تحت ما يُسمّى بـ«استكمال الإجراءات القضائية»، إذ قلّما تقرّ المحكمة أيضاً 9 جريحات، أصعبهنّ حالة الأسيرة إسراء جعابيص، المتحدّرة من القدس، والتي تعاني تشوّهات حادّة في جسدها، جرّاء تعرّضها لحروق خطيرة أصابت 60% منه، وذلك عندما أطلق جنود الاحتلال النار على مركبتها عام 2015، ما تسبّب بانفجار أسطوانة غاز كانت في صفوف الأطفال، ومعظمها في القدس، علماً أنّ غالبيتهم يتمّ الإفراج عنهم بشروط، منها شرط الحبس المنزلي الذي يشكّل أخطر السياسات التي يمارسها الاحتلال بحقّهم. ومن بين هؤلاء، الطفلة الجريحة أسيل شحادة (17 عاماً) من مخيم قلنديا، والتي أطلق عليها جنود العدو النار من أمام حاجز قلنديا العسكري في السابع من الشهر الجاري، وتقبع اليوم في سجن «الرملة» في ظروف قاسية.

أما أبرز حالات الاعتقال في صفوف الأسيرات، فالأسيرتان شروق دويات، وشاتيلا أبو عيادة، اللتان تمضيان حكماً بالسجن لـ 16 عاماً، وعائشة الأفغاني المحكوم عليها لمدة 13 عاماً، بالإضافة إلى عدد من الأسيرات المعتقلات إدارياً، ومن بينهن رغد الفني، سماح عوض، حنان البرغوثي، وفاطمة أبو شلال. وثمة في صفوف الأسيرات في السجون، حيث الغرف صغيرة ومراقبة بكاميرات طوال الوقت.

من جهتها، رصدت «هيئة شؤون الأسرى والمحررين» أبرز الانتهاكات التي تعرّضت لها الأسيرات، ومن بينها أخذ المخدات والأغطية (الحرامات) من الساعة السابعة صباحاً حتى الساعة السابعة مساء، علماً أن شبابيك الغرف تبقى مفتوحة طوال اليوم ويمنع إغلاقها، على الرغم من الجو البارد والأمطار، وتقوم السجّانات بتفتيش الأسيرات تفتيشاً عارياً ومذلّاً، بشكل يومي، في الصباح والمساء. يُضاف إلى ذلك، قطع الاحتلال الأسيرات عن العالم الخارجي بعد حرمانهنّ من الزيارات والاتصالات بالأهل أو المحامين، كما أنهن ممنوعات من زيارة العيادة وأخذ الأدوية، على رغم أن بعضهن يعانين أمراضاً تستوجب رعاية صحية خاصة، إضافة إلى اقتحام الغرف والأقسام بشكل مفاجئ عدّة مرات، وتهجّم السجانات على الأسيرات بالضرب والشتم والتهديد من دون أيّ سبب، وإغلاق «الكانتين»، وتقديم وجبات أكل سيئة جدّاً كمّاً ونوعاً، وسحب كل الأدوات الكهربائية والأغراض الشخصية والمستلزمات اليومية من الغرف.

أهالي الأسرى محبَطون: لا لصفقة جزئية

بيروت حمود

وافقت الحكومة الإسرائيلية، أخيراً، على صفقة تبادل لإطلاق سراح الدفعة الأولى من أسراها لدى حركة «حماس»، والمؤلّفة من 53 امرأة وطفلاً، مقابل تحرير 150 أسيرة وطفلاً فلسطيني من سجون الاحتلال، على أن يبدأ التنفيذ بعد غدٍ الخميس، وسط وقفٍ لإطلاق النار. وفيما مُنح الجمهور الإسرائيلي فرصة الاعتراض على الصفقة اليوم، في التماسات يمكنه تقديمها إلى «المحكمة العليا»، رفضت الأحزاب اليمينيّة المتطرفة، وعلى رأسها «الصهيونية الدينية» بقيادة بتسلئيل سموتريتش، و«عوتسماه يهوديت» بقيادة إيتمار بن غفير، التبادل باعتباره خطيراً. أمّا رئيس أركان الجيش، هرتسي هليفي، ووزير الأمن، يوآف غالانت، فاضطرّا إلى «النزول عن الشجرة»، بعد معارضة شديدة أبدياها في الأيام الماضية، معتبرَين أن الضغط العسكري وحده هو الكفيل بدفع «حماس» إلى تقديم التنازلات. وأقرّ غالانت بأن الصفقة خيار صعب، قائلاً قبيل انعقاد جلسات المصادقة الثلاث، إنه «سيتعيّن على الحكومة اتخاذ قرارات صعبة».

وفي وقتٍ سابق، أمس، عقد المدير العام لمكتب رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو، يوسي شيلي، اجتماعاً مع المديرين العامين للوزارات الحكومية لـ«التحضير لمعالجة كافة الجوانب المدنية المطلوبة»، وذلك في ضوء «التطورات المتعلّقة بإطلاق سراح المختطفين»، موعزاً إلى عدد من المستشفيات بالتحضّر لاستقبال المفرج عنهم. وأتت المصادقة على الصفقة غداة ليلة شهدت فيها بوّابة مبنى «الكرياه» (مقرّ وزارة الحرب الإسرائيلية) في تل أبيب، اشتباكاً بين أهالي الأسرى الإسرائيليين وأمن المبنى، بعدما لم يَسمح عناصر الأخير إلّا لبعضهم بالدخول للقاء نتنياهو، ووزراء «كابينيت الحرب».

ومع انتهاء اللقاء بعد نحو ثلاث ساعات، أعرب بعض الأهالي عن إحباطهم، وقالوا، في مقابلة مع موقع «واينت»: «رغبنا في أن نَسمع في شأن الصفقة، انتظرنا أن تصلنا إجابات، ولكنهم (قادة الحرب) لم يجيبونا». ومن جانبه، لفت نتنياهو، يُعيد الاجتماع، إلى أنه التقى «عائلات المختطفين الذين هم دائماً في قلبي، ويوجّهون ما أقوم به. إنّ إعادة الأسرى هي مهمّة مقدّسة وعليا، وأنا ملتزم بها. أقول باسمنا جميعاً، إننا مجنّدون من أجل ذلك، أنا ورفاقي مسؤولون عن إعادة المختطفين. لن نتوانى عن ذلك، فهذه مسؤوليتي ومسؤولية جميع وزراء كابينيت الحرب». وأضاف: «أصغيتُ إلى أوجاع العائلات»، و«تحدّثنا من القلب إلى القلب، وشاركتهم جميع الوسائل الديبلوماسية، والاستخبارية، والعمليّاتية، التي ندفع بها على مدار الساعة. لقد قلتُ للعائلات الغالية: مختطفونا أمام عينيّ دائماً، من اللحظة التي أستيقظ فيها صباحاً، حتى خلودي إلى النوم في ساعات الليل المتأخرة... لن نتوقّف عن القتال حتى إعادة مختطفينا إلى بيوتهم، سنقضي على حماس، ونثبت أنه لن يكون هناك بعد ذلك أيّ تهديد من غزة».

وكانت ديتسا أور، والدة أفينتان، المأسور في غزة، غادرت قبل انتهاء الاجتماع، مشيرةً إلى أن «ابني اختفى في العتمة، لا توجد لدينا أيّ معلومة عنه. لا شيء»، مضيفةً، في مقابلة مع «واينت»: «تحدّثتُ إليهم في الاجتماع... أخبرتُهم بأن الصفقة (الجاري الحديث عنها في وسائل الإعلام الإسرائيلية والأجنبية)، والتي بموجبها سيحرّرون أمهات وأطفال، تُشكّل خطراً على ابني... ما قلتُه في الداخل: إذا ما وافقوا الآن على صفقة جزئية، فهذا يعني أنهم حكموا على ابني بالموت، لأنه لن يرى النور بعد ذلك، لأنه لن تكون هناك صفقة ثانية». أمّا والدة الأسيرة عميت بوسكيله، فقالت: «لم أنتظر حتى انتهاء الجلسة، وخرجتُ، لأسفي الشديد، لم أسمع ما رغبت في سماعه. على ما يبدو، هناك الكثير من أسرار الدولة التي لا يرغبون في كشفها أمامنا. أنا أتفهّم ذلك، وهذا شرعي، فهذا يهدف إلى عدم تعريض أبنائنا للخطر». وأشار ممثّلو «عائلات المختطفين»، بدورهم، إلى أن «رئيس الوزراء تعهّد أمامنا بأن أعضاء الائتلاف سيكفّون عن الدفع بإجراءات قد تشكّل خطراً على حياة أولادنا»، في إشارة ربّما إلى «مشروع قانون إعدام الأسرى» الذي ناقشته لجنة الأمن القومي، أوّل من أمس، في جلسة صاخبة، شهدت مشادات كلامية بين أعضاء ووزراء حزب «عوتسماه يهوديت» الذي يقوده وزير «الأمن القومي» المتطرّف، إيتمار بن غفير، وعائلات المختطفين وممثّليهم.

وشهد ليل الإثنين - الثلاثاء، قبل لقاء نتنياهو بالعائلات، مواجهات عنيفة بين المتظاهرين وقوات الاحتلال التي فرّقت تجمّعاً كبيراً أمام مقرّ إقامة رئيس الحكومة في قيسارية، وأخرى أمام مقرّ وزير الحرب في تل أبيب، وذلك بعد تظاهرات حاشدة في مختلف أنحاء فلسطين المحتلة، طالبت بالإفراج عن الأسرى، وبإسقاط حكومة العدو، وبإجراء انتخابات مبكرة.

> شهد ليل الإثنين - الثلاثاء، قبل لقاء «الكرياه»، «مهزلة» عند بوابات وزارة الحرب

وفي وقتٍ سابق من يوم السبت الماضي، التقى ممثّلو العائلات مع وزراء في «كابينيت» الحرب، بعد المسيرة التي انطلقت من تل أبيب في اتجاه مكتب رئيس الحكومة في القدس. وكان من المفترض أيضاً أن يلتقوا بوزير الأمن، يوآف غالانت، لكن بعضهم أعرب عن استيائه لأن الأعضاء الآخرين في المجلس الوزاري المصغّر، ومن بينهم نتنياهو، والوزير رون ديرمر، لم يستجيبوا لطلبهم اللقاء، فيما أوضح رئيس الحكومة لـ«الكابينيت» سيجتمع مع العائلات في وقتٍ لاحق. وعلى إثر ذلك، أُلغي الاجتماع مع غالانت، واقتصر على حضور وزيرَي مجلس الحرب، بيني غانتس، وغادي آيزنكوت، اللذين أبلغا العائلات بأن «عودة المختطفين أولوية قصوى، حتى قبل القضاء على حماس»؛ إذ قال غانتس: «القضاء على حماس سيستغرق وقتاً، ولكن المختطفين ليس لديهم الوقت».

جرى اللقاء في ضوء تقارير تحدّثت عن اقتراب التوصّل إلى اتفاق لإطلاق سراح الأسرى (أ ف ب)

طوفان الأقصى

وحل غزّة يُغرق العدو 9
المقاومة تبدع في اصطياد الغزاة

يوسف فارس - غزة

خلال الأيام السبعة الأخيرة، تغيّرت حسابات الحرب البرية في قطاع غزة بشكل جذري؛ إذ لم يعُد تقدّم الدبابات في المدن والأحياء المأهولة، معياراً لحساب الإنجاز، في ما يجلّي حالة «المرونة والاستدامة» التي عبّر عنها الناطق العسكري باسم «كتائب القسام»، أبو عبيدة. وكان محور القتال في المناطق الشمالية والغربية لمخيم جباليا، مثالاً على أسلوب القتال الجديد، حيث تُركت الدبابات الإسرائيلية تتقدّم من محورين، عابرةً مناطق جغرافية مهّدت بالنار لدخولها لأكثر من 23 يوماً، وحينما استقرّت في محيط مستشفى «الإندونيسي» وخلف مدينة الشيخ زايد، خاضت المقاومة معها معارك ضارية للغاية، أجبرتها على التراجع، ثمّ إعادة التموضع مراراً. وفي هذا السياق، قالت مصادر ميدانية، لـ«الأخبار»، إن «ثمّة زخماً نارياً مهولاً في محاور القتال المحيطة بمخيم جباليا، حيث تتمركز المقاومة في استحكامات آمنة، وتنطلق منها في مجموعات كبيرة تتجاوز العشرين مقاتلاً، وتشنّ هجمات مدروسة بعناية، قبل أن تعود إلى قواعدها مجدّداً».

وفي المحور الشمالي الغربي من شمال غزة، وتحديداً في أحياء الصفطاوي والـ17 والتوام، اعتمدت المقاومة تكتيك الكمائن المركّزة والمدروسة. ووفقاً لمصادر ميدانية، فإن «العشرات من المقاومين أغاروا على نقطة تثبيت وتمركز لقوات الاحتلال، وحقّقوا فيها إصابات دقيقة». والأمر عينه كان «قد تكرّر ضد قوة عسكرية راجلة في المحور نفسه، حيث هاجم المقاومون قوة راجلة كانت تتبع جرّافة، وحقّقوا فيها العشرات من الإصابات والقتلى». وفي الحيّ ذاته، «استهدف المقاومون ناقلة جند والغربية لمخيم جباليا، مثالاً على بقذائف الياسين 105، وحينما خرج منها الجنود المصابون، عاجلوهم بإطلاق الرصاص، ثمّ عاودوا تشكيل كمين جديد، وانتظروا إلى أن وصلت قوة إسرائيلية أخرى لإغاثة المصابين، وكرّروا الهجوم ثالثةً، ما تسبّب بمقتل وإصابة العديد من الجنود». كما أعلنت «سرايا القدس»، أن مقاتليها «اقتحموا - مساء الإثنين - منزلاً غرب حيّ الزيتون كان يتحصّن فيه 3 جنود ومجنّدة واحدة، وقد أجهزوا عليهم من مسافة صفر». وبينما عرضت «كتائب القسام» مشاهد من التحام مقاتليها بجنود العدو وإيقاعهم في كمائن، واستهدافهم داخل منزل تحصّنوا بداخله في منطقة جحر الديك شرق المنطقة الوسطى، نشرت «السرايا» مشاهد لاستهداف مقاتليها عدداً من دبابات العدو وجرافاته في مختلف محاور التقدّم.

وحتى مساء الأمس، كان المقاومون يخوضون معارك ضارية بالقرب من دوّار الصاروخ ومحيط شارع الصفطاوي شمال غزة، فيما سُمع دوي انفجارات ضخمة في المنطقة. وبالتوازي مع ذلك، أطلقت المقاومة رشقات صاروخية مكثّفة في اتجاه مدن ومستعمرات الوسط، حيث انطلقت صافرات الإنذار في منطقة تل أبيب الكبرى، وبلغة الأرقام، استطاعت المقاومة حتى يوم أمس، تدمير أو إعطاب ما يزيد على 300 دبابة وناقلة جند. وبالتوازي مع بيانات المقاومة، التي تؤكّد مواصلة التصدي، يتزايد الإعلان في الإعلام العبري بشكل يومي عن أعداد من القتلى والمصابين من الجنود الإسرائيليين.

وفي موازاة ذلك، وبينما يُتوقّع إعلان هدنة مؤقتة وصفقة تبادل، وتندحرج إلى تصعيد»، لافتاً إلى أن «الأمور في الشمال مرتبطة بتطورات المعركة في غزة، إضافة إلى كيفية رد إسرائيل على تبادل النيران مع حزب الله».

وكتبت صحيفة «إسرائيل اليوم» أن «إسرائيل وحزب الله يرفعان مستوى المقامرة، والترقّب يقلق لما يدور في الشمال أمر مطلوب أكثر من أيّ وقت مضى». وأشارت في مقال آخر إلى أن «المسار القائم يحتّم حصول حرب مع لبنان، وهذه الطريقة الوحيدة لإبعاد قوات الرضوان عن السياج». فيما

> رسالة من إسرائيل إلى مجلس الأمن: الوضع قد ينزلق إلى حرب إقليمية

اعتمدت المقاومة تكتيك الكمائن المركزة والمدروسة (أ ف ب)

-لأسباب إنسانية- ولكن مماطلة العدو أدّت إلى فقدان حياتها، وأمام هذا الإعلان نجدّد تأكيدنا على إخلاء مسؤوليتنا تجاه أسرى العدو لدينا، في ظل القصف الهمجي والمسعور على كل شبر في قطاع غزة».

إنجازات مُختلقة

خلافاً للتدمير الممنهج للكتلة العمرانية في مناطق شمال غزة، والمجازر التي تضاعفت أخيراً، والاستهداف الكلّي لكلّ المراكز الحيوية التي تضمن استمرار الحياة، من قبيل المستشفيات والنقاط الطبية، لم تتمكّن القوات المتوغّلة، حتى اليوم، من تحقيق أيّ إنجاز يُذكر. أمّا الإحاطات الإعلامية التي يقدّمها المتحدث باسم جيش العدو، فقد تضمّنت خلال اليومين الماضيين الحديث عن تمكّن قوات الاحتلال من الوصول إلى مواقع عسكرية خطيرة لـ«كتائب القسام» في شمال غزة، من بينها «اللواء»، وهو موقع عسكري علني يحوي عدداً من المكاتب الإدارية وساحة تدريب، ويعرفه كلّ سائق أجرة في الشمال، إلى الحدّ الذي أصبح معه معلماً للتعريف. كما كانت قوات الاحتلال قد قصفته عشرات المرات خلال السنوات الماضية. ويُعتبر «اللواء» واحداً من المواقع التي سقطت حكماً، وكانت قد أخليت في وقت سابق بالضرورة. وذلك، من المتوقّع أن يقدّم جيش العدو مادة إعلامية مصوّرة تضخّم الإنجاز فيه، لكنها لن تتطلي إلّا على من هم ليسوا من سكان شمال غزة.

الزخم في أطراف الحواضر

برغم التوغّل العميق في مناطق شمال وادي غزة، فإن زخم المواجهات والنار لا يزال متركّزاً في أطراف الحواضر العمرانية المستهدفة، إذ إن مخيم الشاطئ غربي أحياء الشيخ رضوان والنصر، والذي التفّت الدبابات العسكرية حوله منذ 12 يوماً، وحاصرته من عدة جهات، لا يزال إلى اليوم، يشهد اشتباكات ضارية. أما مخيم جباليا، الذي تحاول الدبابات الإسرائيلية تطويقه من الجهتَين الشمالية والغربية، فإن الاشتباكات الضارية تتركّز إلى الآن خارج طرقه الرئيسية، حيث تتكبّد الآليات المتوغّلة خسائر كبيرة. وليل أمس، أعلن جيش العدو أنه قصف أكثر من 250 هدفاً زعم أنها تتبع للمقاومة، فيما اعترف بمقتل 16 جندياً خلال الأيام الثلاثة الماضية، وأقرّ بشراسة القتال في المناطق المستهدفة. وفي المقابل، تؤكّد المصادر الميدانية أن أكثر الأهداف التي يتمّ قصفها هي منازل مأهولة، ويهاجمها الاحتلال بناءً على افتراضات أو معلومات مغلوطة، أو بغرض انتقامي بحت. أما في الميدان، فإنه لا معالم واضحة لذلك الإنجاز، إذ إن المقاومة تحافظ على عملها المرن المُنجز، ومستعدّة لفترة قتال طويلة.

ثمانية شهداء بعد توسيع العدوّ دائرة الاستهداف

حرب مصغّرة على «الجبهة الشمالية»

شهدت الجبهة الجنوبية ارتقاءً متبادلاً في الساعات الـ 48 الماضية مع توسيع العدو الإسرائيلي دائرة استهدافاته في القرى الحدودية لتطاول المدنيين، ما أدّى إلى سقوط أربعة شهداء، من بينهم الزميلان في «الميادين» فرح عمر وربيع معماري، إضافة إلى استهداف أربعة كوادر من حركة «حماس» في قصف استهدف سيارة مدنية كانت تقلّهم جنوب صور.

وبدا أمس بوضوح أن «حرب الاستنزاف» التي يخوضها حزب الله مساندة لغزة بدأت تترك تداعيات ضخمة وإرباكاً في كيان العدو الذي حذّر من انزلاق الوضع إلى «حرب إقليمية»، وليس أقل من ذلك». فقد كُشف في إسرائيل أمس أن وزير خارجية العدو إيلي كوهين، وجّه «رسالة تحذير» إلى مجلس الأمن من «أن ينتهي الأمر إلى حرب إقليمية إذا لم يتمّ تنفيذ القرار 1701 بشكل تام، ولم تفعّل اليونيفل قدراتها لمنع الوجود العسكري لقوة الرضوان جنوب الليطاني». وأشارت الرسالة إلى أن «من مصلحة الاستقرار الإقليمي ومن أجل منع التصعيد، ينبغي أن يتبنّى النقاش في مجلس الأمن منهجاً مختلفاً تماماً لإنهاء الخروقات الخطيرة لحزب الله». ووصف نائب المندوبة الأميركية لدى الأمم المتحدة، روبرت وود، الوضع على الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة بأنه «صعب وخطير للغاية»، و«نعمل جاهدين لمنع انتقال الحرب في غزة إلى لبنان».

ووصف معهد أبحاث الأمن القومي في تل أبيب، وهو من المراكز الأساسية التي ترفد حكومة العدو بتوصيات تؤخذ في الاعتبار في عملية صنع القرار، ما يجري على «الجبهة الشمالية» بأنه «حرب مصغّرة»، مشيراً إلى أنه «منذ بداية الأحداث، بعد يوم من السبت الأسود (7 تشرين الأول)، نرى مساراً تصاعدياً من جهتهم (المقاومة) ومن جهتنا، وكتبت صحيفة «معاريف» أن حزب الله «بانتظار خطا جسيم تقدم عليه إسرائيل (...) ولا ريب في أن الحدود الشمالية تشهد عملياً جبهة قتال ثانية».

وكانت مدفعية العدو استهدفت صباحاً منزلاً في بلدة كفركلا، ما أدّى إلى استشهاد لاثّقة سرحان (80 عاماً) وإصابة حفيدتها بجروح. وظهراً، استهدف صاروخ موجّه من مُسيّرة إسرائيلية مراسلة قناة «الميادين» فرح عمر (مواليد 1998 - مشغرة) ومصوّر القناة ربيع معماري (مواليد 1979 - طرابلس) ومرافقهما حسين عقيل (بلدة الجبّين) رغم ارتدائهم الزيّ الصحافي، بعد بثّ مباشر من بلدة طيرحرفا (صور).

وباستشهاد عمر ومعماري، ارتفع عدد شهداء الجسم الصحافي إلى ثلاثة، بعد استشهاد مصوّر وكالة «رويترز» الزميل عصام العبدالله بقذيفة دبابة إسرائيلية أطلقت على تجمّع للصحافيين في بلدة علما الشعب، في 13 تشرين الأول الماضي. وفي 13 الجاري، استهدف صاروخان إسرائيليان فاقلة صحافيين في بلدة يارون الحدودية.

وعبّر الناطق باسم قوات «اليونيفل» اندريا تينينتي عن «الصدمة والحزن»، ووصف «الاستهداف المتعمّد للصحافيين والمدنيين» بأنه «انتهاك للقانون الدولي، ويرقى إلى مستوى جرائم حرب».

ونعت حركة حماس وكتائب الشهيد عز الدين القسام «القائد خليل حامد الحراز (أبو خالد) الذي استشهد مع مجموعة من إخوانه إثر غارة صهيونية استهدفته أثناء قيامه بواجبه الجهادي في جنوب لبنان». وكان الشهداء قضوا في غارة نفّذتها مُسيّرة إسرائيلية استهدفت بثلاثة صواريخ سيارة CRV على طريق فرعية بين الشعيتية والمعاينة (جنوب صور). وبحسب معطيات أولية، فإن «المُسيّرة لاحقت السيارة منذ خروجها من مخيم الرشيدية حيث يقيم الحراز». وإلى الحراز الذي وُصف بأنه يشغل «منصباً عسكرياً بارزاً في كتائب القسام»، استشهد أيضاً خلدون ميناوي والإمام المساعد في مسجد التقوى في طرابلس أبو بكر عوض الشيخ سعيد الضناوي، وهم جميعاً من طرابلس التي اشتعلت بالرصاص لدى إعلان نبأ استشهادهم.

في المقابل، نفّذ حزب الله أمس 13 عملية استهدفت ثكنات ومواقع وتجمّعات جيش الاحتلال الإسرائيلي على الحدود الفلسطينية مع لبنان، أبرزها قاعدة بيت هلل العسكرية، ومصنع تابع لشركة رافايل للصناعات العسكرية الإسرائيلية في منطقة شلومي، ردّاً على العدوان الإسرائيلي الذي طاول المدنيين وطاقم «الميادين» وقصف العدو مصنعاً للألمنيوم في منطقة النبطية قبل يومين.

واشنطن: «فاغنر» ستسلّم «حزب الله» نظاماً للدفاع الجوي

قال المتحدّث باسم مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض جون كيربي إن مجموعة «فاغنر» الروسية «تستعدّ لتسليم حزب الله أو إيران نظاماً للدفاع الجوي»، موضحاً للصحافيين «أننا مستعدون لاستخدام نظامنا للعقوبات المناهضة للإرهاب ضد أفراد أو كيانات روسية» رداً على ذلك. وأكّد المتحدث أن إيران «قد تستعد لاتخاذ خطوة إضافية» في مساعدتها العسكرية لروسيا، مشيراً إلى أنه إضافة إلى الطائرات المُسيّرة ومعدّات أخرى تقول واشنطن إن الجيش الروسي تسلّمها من طهران، «تعتزم إيران تسليم صواريخ باليستية بغرض أن تستخدمها روسيا في أوكرانيا». واعتبر أن هذا التعاون «يضر بالتأكيد أوكرانيا وجيران إيران والنظام الدولي». وكانت تقارير صحافية أميركية قد أوردت قبل أسابيع أن محادثات تجري بين مجموعة «فاغنر» و«حزب الله» لتزويده بنظام «بانتسير» الروسي للدفاع الجوي، إلا أن الكرملين نفى رسمياً الأمر في حينه.

(الأخبار)

مصر على خطّ الهدنة: ضغوط متصاعدة لطيّ صفحة «التهجير»

القاهرة - الأخبار

فيما تواصلت جهود إتمام صفقة تبادل الأسرى بين حركة «حماس» وكيان الاحتلال الإسرائيلي، للوصول إلى خواتيمها، بات واضحاً استمرار وجود تعقيدات، ليست على أيّ حال كفيلة بتطيير الاتفاق. وأفادت مصادر مصرية، «الأخبار»، بأن جهود الوساطة في سبيل التوصّل إلى الهدنة، سجّلت، أمس، اتّصالات مكثّفة، ولا سيما في شأن ضرورة الالتزام الإسرائيلي بعدم إرسال أيّ مُسيّرات لتتبّع مسيرة الأسرى، أو الأماكن التي كانوا متواجدين فيها، وهو الأمر الذي شدّد الجانب المصري على ضرورة تحقّقه. وأكّدت المصادر أن الضغوط على المستوى الداخلي الإسرائيلي، لعبت دوراً كبيراً في تسريع وتيرة التفاوض بعد جمود استمرّ لوقت طويل، وتعنّت أبدته سلطات الاحتلال، التي تحلّت، فجأة ومرّة واحدة، بمرونة كبيرة، وإنْ ظلّت تكرّر أن الهدنة المؤقتة لا تعني انتهاء الحرب على قطاع غزة.

إلا أن تلك الاتصالات التي جرت على مستوى استخباري، رافقها توتّر سياسي بين القاهرة والفصائل الفلسطينية، على خلفية ما تراه مصر «عدم التقدير الكافي» من الجانب الفلسطيني لما تقوم به من جهود، بينما تواصل هي، بحسب ما تدافع به، «تأكيدها الرسمي رفض عمليات التهجير المقترحة والتي تدعمها إسرائيل بشكل واضح لإخلاء قطاع غزة»، فضلاً عن «تدخّل» أجهزتها الاستخبارية في سبيل التوصّل إلى هدنة، بناءً على طلب نظيرتها الإسرائيلية، على رغم حالة التوتّر السياسي بين القاهرة وتل أبيب، والتي طغت على علاقاتهما منذ بدء الحرب.

على أن ما تعمل عليه القاهرة، اليوم، بالشراكة مع الدوحة، وفق المصادر، يتمثّل في «مسار سياسي» يساهم في تسهيل «مُهمّة الأطراف العربية الضاغطة لوقف الحرب، في ظلّ الادّعاءات الإسرائيلية المستمرة بأن إنهاءها اليوم سيشكّل فرصة لحماس من أجل إعادة بناء قواتها والهجوم مجدداً على إسرائيل». وترى كلّ من مصر وقطر أن «المسار» الذي يسهّل الغاية المذكورة، يتمثّل في «تولّي السلطة الفلسطينية الحالية إدارة الضفة الغربية وقطاع غزة، عبر تفاهمات داخلية تجريها السلطة مع حماس».

وكانت الجهود المصرية نجحت في إدخال مزيد من شاحنات الوقود والمساعدات إلى القطاع، أكثر ممّا جرى الاتفاق عليه سابقاً، فيما تسعى، في سياق تلبية الحاجة إلى مزيد من المساعدات الإنسانية، على تكثيفها من خلال زيادة أعداد الشاحنات التي تدخل عبر معبر رفح. وفي هذا الجانب، طلبت مصر من السعودية والإمارات خصوصاً، تكثيف معوناتهما، مبدية استعدادها الكامل لتجهيز عمليات الاستقبال عبر مطار «العريش»، فيما وعدت الدوحة بإرسال مساعدات إضافية خلال الأيام المقبلة، على أن يُعمل على تشغيل «المستشفى الإماراتي الميداني» داخل القطاع في أقرب وقت.

وإلى التسهيلات التي قدّمتها مصر في شأن عملية إجلاء مرضى ومصابين للعلاج في تركيا والإمارات، فهي وعدت بمزيد من التسهيلات لعمليات خروج وسفر الفلسطينيين الراغبين في ذلك، ممّن لديهم الأوراق الثبوتية اللازمة (جوازات سفر ثانية)، على أن يتم ترحيلهم من مصر فقط، وهو أمر ستكون له الأولوية في الأيام المقبلة.

وفي الموازاة، تعمل القاهرة - في الشقّ الذي يمسّ «أمنها القومي» - في ظلّ الضغوط الإسرائيلية «غير المسبوقة»، والتوتّر الكبير الذي تشهده العلاقات المصرية - الإسرائيلية، على ممارسة «ضغوط معاكسة على الولايات المتحدة لإيقاف مخطّط إسرائيل المتمثّل في تدمير مناطق كاملة في قطاع غزة لإعادة بنائها وهيكلتها وفق رؤية إسرائيلية خالصة تضرّ بالأمن القومي المصري»، وفق المصادر. وبدت لافتةً، في هذا السياق، محاولة القاهرة الابتعاد عن واشنطن، سواء بدعم جهود زيارات الوفود الإسلامية للصين وروسيا قبل التوجّه غرباً، أو العمل للحصول على دعم تحالف «بريكس» الذي عقد قمة افتراضية طارئة، أمس، بمشاركة الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي.

طلبت مصر من السعودية والإمارات خصوصاً، تكثيف معوناتهما (أ ف ب)

حكايات من تحت الركام: لا تزال ثمّة حياة هنا!

غزة - يوسف فارس

تتغيّر معالم الأحياء السكنية التي تترك عليها الطائرات الحربية الإسرائيلية بصمتها. إذ تطاول الأحزمة النارية، وهي سلسلة متواصلة من الغارات التي تتركّز في خطوط مدروسة، أحياءً بكاملها، وتُستخدم فيها قنابل زنة الواحدة منها تتجاوز الـ 450 كيلوغراماً من المتفجرات. ويفترض جيش الاحتلال، في اعتماده هذا السلوك الحربي، أن أسفل تلك المناطق المستهدفة نفق للمقاومة، أو أن منزلاً في الحيّ يؤوي أحد القادة. وبناءً عليه، يبيد المنطقة بأكملها من دون النظر إلى تكدّس الآلاف من المواطنين فيها. في المقابل، نفّذ حزب الله أمس 13 عملية استهدفت ثكنات ومواقع وتجمّعات جيش الاحتلال الإسرائيلي على الحدود الفلسطينية مع لبنان، أبرزها قاعدة بيت هلل العسكرية، ومصنع تابع لشركة رافايل للصناعات العسكرية الإسرائيلية في منطقة شلومي، ردّاً على العدوان الإسرائيلي الذي طاول المدنيين وطاقم «الميادين» وقصف العدو مصنعاً للألمنيوم في منطقة النبطية قبل يومين.

سقوف المنازل على أعداد كبيرة من السكان الذين لم تصلهم يد الإنقاذ. ومن بين تلك المنازل، منزل عائلة موسى الذي يقع في نهاية شارع العجارمة، والذي أطبق الحزام الناري عليه تماماً، لكن النقطة الفارقة التي ميّزته عن عشرات البيوت التي لاقت المصير نفسه، هو أن عدداً من أفراده استشهدوا، فيما بقي بعضهم أحياء، وقد تمكّن الأهالي من الوصول إليهم، من دون أن يستطيعوا إخراجهم. في محيط المنزل، تجمّع المئات من الأهالي مذهولين أمام المعجزة، فيما أخرون سارعوا إلى جلب ما استطاعوا من خبز وماء. أما المنقذون، فتهشّمت أياديهم التي سالت منها الدماء وهم يحاولون إدخال «المونة» إلى الأحياء من وسط الركام. هلّل هؤلاء محتفلين بالإنجاز: لقد وصل الماء والخبز لمن هم أحياء!

تتطلّب عملية الإنقاذ معدات وحفارات وبواقر كبيرة، وتلك نادرة في هذا الوقت

تتطلّب عملية الإنقاذ معدات وحفارات وبواقر كبيرة، وتلك نادرة في هذا الوقت. لا تتوفر في شمال القطاع كله سوى آليتين فقط، إحداهما تعطّلت، والأخرى يجري تحريكها بشكل يومي بين العشرات من مواقع القصف، بحسب ما يفيد به أحد ضباط الدفاع المدني، مضيفاً، في حديثه إلى «الأخبار»، أن «عملية انتشال الشهداء من تحت المنازل المدمّرة تتطلّب وقتاً طويلاً، إذ تحتاج إزالة ركام بعض البنايات إلى عدّة أيام، وتستهلك كميات كبيرة من السولار، والوقود عزيز وشحيح للغاية. لذا، فإن عملية الإنقاذ تأخذ الطابع الطوعي، الكلّ يشمّر عن ساعده، ويساعد قدر المستطاع».

في هذا الوقت، يقارب قرص الشمس على الغياب. لا يزال أهالي المخيم يحاولون انتشال الأحياء من أسفل طبقات المنزل التي غارت عدّة أمتار أسفل الأرض، حيث يتناوب شباب الدفاع المدني، في حديثه إلى «الأخبار»، أن «عملية انتشال الشهداء من تحت المنازل المدمّرة تتطلّب وقتاً طويلاً، إذ تحتاج إزالة ركام بعض البنايات إلى عدّة أيام، وتستهلك كميات كبيرة من السولار، والوقود عزيز وشحيح للغاية. لذا، فإن عملية الإنقاذ تأخذ الطابع الطوعي، الكلّ يشمّر عن ساعده، ويساعد قدر المستطاع».

في هذا الوقت، يقارب قرص الشمس على الغياب. لا يزال أهالي المخيم يحاولون انتشال الأحياء من أسفل طبقات المنزل التي غارت عدّة أمتار أسفل الأرض، حيث يتناوب شباب الحي على تكسير الاسمنت. وبعد عشر ساعات من العمل المتواصل، تمكّنوا من إنقاذ شخصين. عمّت البهجة وعلا التهليل: ثمّة حياة في نقطة حُكم على جميع سكانها بالموت. في محيط «مستشفى كمال عدوان» في مشروع بيت لاهيا، نفّذت الطائرات الحربية حزاماً نارياً مماثلاً طوال عدة شوارع. وفي شهادته على الحدث، يقول أحمد حجاج، في حديثه إلى «الأخبار»، إنه «في تمام الساعة الخامسة من فجر يوم الثلاثاء، شنّت الطائرات الحربية عشرات الغارات على منازل عائلات ظاهر والهندي والدريني والبلعاوي، كما دمرت الغارات مساحات واسعة من الشوارع المحيطة بالمستشفى، مستهدفة أكثر من 20 منزلاً دُمّرت بشكل جزئي أو كلي». على أن حظوظ الأهالي تتفاوت، إذ لم تتمكّن سيارات الإسعاف و«الدفاع المدني» من الوصول إلى المربع المقصوف في مشروع بيت لاهيا، إلا بعد ثلاث ساعات من الحدث. والنتيجة: 80 شهيداً استطاعت أيادي المنقذين الوصول إليهم، فيما لا يزال العشرات من عائلات الهندي وغنام تحت الأنقاض.

طوفان الأقصى

إسرائيل تداري خيبة «الشفاء»
«حماس» أخفت الأدلّة!

بيروت ـ حمود

منذ اللحظة الأولى لحرب الإبادة التي تشنّها إسرائيل على غزة، والمُسمّاة في خطاب العدو بـ«السيوف الحديدية»، بدا واضحاً، طبقاً لوزير الشتات الإسرائيلي السابق، نحمان شاي، أنه «سيكون للرأي العام وزنٌ وتأثيرٌ على أمد العملية ونتائجها». والسبب، أن «الحروب، منذ فترة طويلة، لم تَعُد محضَ صراع بين قوات عسكرية في ساحة معركة محدّدة، بل تخطّت ذلك»؛ إذ «تمتدّ (ساحة المعركة اليوم) إلى جميع أنحاء العالم»، لكونها «تدمج بين عوالم محتوى متنوّعة، بما فيها الشبكات الاجتماعية والحيّز العام، واستديوهات التلفزة، وعناوين الصحف». ويتطلّب كلّ ذلك، وفق ما أورده في مقالة في صحيفة «معاريف»، أن تفوز إسرائيل «في جميعها، فكلها مهمّة، وكلّها تصمّم صورة المعركة الحالية، وكذلك صورتها النهائية».

وفي أعقاب الهجوم الذي شنّته حركة «حماس» في السابع من أكتوبر الماضي، ومن ثمّ الدخول البري لقوات جيش العدو إلى غزة، تزايدت، وفق شاي الذي سبق أن تولّى منصب الناطق باسم الجيش، «الحاجة (الإسرائيلية) إلى ربط حماس باستخدامها المشوَّه للمرافق والمنشآت المدنية. فهذه الأخيرة محمية بموجب المعايير القتالية المتّفق عليها، وقد امتنع الجيش الإسرائيلي عن مهاجمتها»؛ علماً أنه، منذ الأيام الأولى للحرب، وحتى قبل محاصرتها واقتحامها مستشفى «الشفاء»، قصفت إسرائيل مستشفى "الأهلي" (المعمداني)، ولم تترك مرفقاً مدنياً إلّا واستهدفته، بما في ذلك المنشآت المدنية كان معروفاً ومثبتاً في الماضي»، مستدركاً بالقول: «هذه المرّة، وبإصرار أكثر من أيّ وقت مضى، اقتحم الجيش الإسرائيلي قلب الحركة، ومقرّها الرئيس، ومنشآت القيادة والسيطرة التي طُمرت عمداً تحت الأرض، وتحت غطاء المنشآت الأمن ظاهرياً. (وحماس طمرت هذه المواقع لأن) المعاهدات الدولية، والقوانين المنصوص عليها في شأن الحرب تنطبق على إسرائيل فقط، وليس على حماس»، ما يعني، بحسبه، أن الأخيرة أغفلت أن إسرائيل «أثبتت، على مرّ التاريخ وليس في هذه الحرب فقط، عدم اكتراثها بالقوانين الدولية إطلاقاً». وعزا شاي إخفاق الجيش الإسرائيلي في «غزة الشفاء»، إلى أن الناطق باسمه، دانييل هاغاري، استعرض بادئ الأمر صوراً تمثيلية لـ«مقرّ القيادة التحت أرضي، والواقع تحت أكبر المراكز الصحيّة في القطاع»، ليبدو «واضحاً (مذاك) أن الجيش سيتوجّه إلى هناك»؛ وبالتالي، كان لدى "حماس" الوقت الكافي عملياً لـ«إزالة الأدلة». و«في نهاية الأسبوع الماضي، وبعد جهود عدّة، بدأت المقاطع المصوّرة من داخل المستشفى بالظهور أخيراً، أي بعدما بات واضحاً أن المستشفيات لم تَعُد المرافق الأكثر أهميّة بالنسبة إلى حماس، فقد انهارت، وأزيلت التابويات».

مع ذلك، قال شاي: «لا يوجد، إلى الآن، ما يكفي من الأدلة المهمّة والمقنعة. ومن المؤكد أن تلك المنشأة المرعبة المخبّأة تحت المستشفى لم يتمّ عرضها بعد». وتابع: «لكي نكون على علم، فإن الإعلام الدولي هو إعلام حداثي. ومن جهته - وهو محقّ في ذلك - العالم مليء بالأكاذيب. وهو قتلها مواطنو المنظمات الأممية، والصحافيون، وفرق الإسعاف، وصولاً إلى قصف المدارس ومراكز الإيواء والمساجد والكنائس، ما يعني أنها لم تترك قانوناً دولياً يتعلّق بالحرب، إلا وداست عليه. وادّعى الوزير السابق أن «استخدام حماس الأدلّة الفوتوغرافية والأدلّة الشفهية وكشْفها للعالم. ولذلك، فإن علامات الاستفهام (حول أدلّة إسرائيل)، التي نرفضها بازدراء، تثار في مختلف المنابر حول العالم».

أمّا النضال حول الرأي العام، بحسب شاي، فـ«صعب»؛ ذلك أن «إسرائيل لا تمتلك كل الأدوات». وفي هذا الصدد، أشار إلى «فيلم المذبحة» الذي عرضته إسرائيل أمام سفراء دول العالم وإعلاميين غربيين ونواب "الكنيست" ووزراء الحكومة الذين لم يتحمّلوا «المشاهد المرعبة» التي وُثّقت في يوم «هجوم السبت»، وخرجوا باكين ومنهارين بعد العرض. برأيه، «اكتسب الفيلم مصداقية، ومن الصحيح استخدامه على أوسع نطاق ممكن، وبالحساسية المطلوبة». ولكن، «من أجل إقناع الجمهور المستهدف، أو ما يُسمّى بالرأي العام من خلال عوامل وسيطة، مثل وسائل الإعلام والمؤثّرين والقادة المنتخَبين والمنظمات الدولية، سيتعيّن على الجيش الإسرائيلي تقديم المزيد من الأدلّة الدامغة. نحن، في إسرائيل، نعتقد، بالطبع، أن العالم اليهودي والعديد من الأشخاص الطيبين في العالم، الذين تحطمت قلوبهم بسبب محنتنا، وحتى محنة المواطنين الفلسطينيين، مؤمنون بذلك. وهذا لا يتعارض. لكنّ اللعبة التي أمامنا في إقناع "العالم"، تبدو صعبة وقاسية للغاية».

> استخدمت إسرائيل في حربها الدعائية عدداً من «إستراتيجيات الكذب»

وعلى الرغم من فشل الجيش في إظهار أيّ دليل على ما ادّعاه، رأى شاي أن على الجيش الاستمرار، «والإتيان بأدلّة إضافية: مستشفيات إضافية تنتظر في الطريق، وسيضطرّ الجيش لدخولها جميعاً، ولكنّ العدو الذي أمامنا حضّر نفسه لمواجهة هذا المسار، وهو بطبيعة الحال يقوم في هذه الأثناء بالفعل في إخفاء الأدلّة». ويدّعي الأخير أن «سيكون من الرائع لو دعمونا أكثر وأظهر "العالم" التعاطف والتفهّم، لكن في هذه الحالة الحرجة لا يُنظر إلا إلى الإنجاز العسكري والمختطفين فقط، فهم وحدهم المهمّون والحاسمون». أمّا أضرار البروباغندا «فسنصلحها في وقتٍ لاحق».

واستخدمت إسرائيل في حربها الدعائية تلك، عدداً من "إستراتيجيات الكذب"، كما يعرّفها علم النفس؛ ومع ذلك، لم تنجح في المعركة على الرأي العام. والإستراتيجيات الخمس التي استخدمتها، وفقاً للاختصاصي في علم النفس، محمد أبو صليّح، هي: أولاً «التكرار»، إذ عمدت منذ عقود إلى تكرار كذبة «الجيش الذي لا يُقهر»، صانعة عقليّة من الخوف الجمعي من جيشها وقدراتها العسكرية تحديداً بعد عام 1967، قبل أن تتهشّم هذه الأسطورة بعد عدوان تموز 2006، وتسقط كلياً منذ بدء "طوفان الأقصى". أمّا الإستراتيجية الثانية، فهي «دمج الحقائق بالأكاذيب»، والتي تقوم على خلط تفاصيل حقيقية مع الأكاذيب لتصبح الأخيرة أكثر قابلية للتصديق، الأمر «الذي تجلّى في كذبة قطع حماس لرؤوس الأطفال، مع حقيقة وقوع الهجوم في السابع من أكتوبر)، وفق ما يشير أبو صليّح.

والإستراتيجية الثالثة، هي «البساطة في الطرح»، والتي استخدمتها إسرائيل مع الشعوب الغربية بشكل خاص كون هذه الشعوب ليست لديها الدراية والمعرفة الكافية حول جذور القضية الفلسطينية، و«هو ما تبدّى في طرح الاحتلال للصراع على أنه "صراع بين الخير والشر"، وبين "الحضارة والهمجية" من خلال لغة بسيطة وسهلة ومكرورة ينجح عبرها في النهاية إيجاد حقيقة "وهمية" قد يستمرّ الناس في تصديقها حتى بعد تفنيدها، فقط لأنها تبدو سهلة». كذلك، استخدمت إسرائيل إستراتيجية «المماطلة في الردّ»، والتي من خلالها هدفت إلى كسب الوقت لتحويل انتباه الرأي العام العالمي، مستبقةً ذلك بالإنكار وإضفاء الغموض على الأحداث من أجل «الشروع في البحث عن الحقيقة»، للتأكيد على «شفافيتها ومصداقيتها»، تماماً كما فعلت في قضيّة قصف المستشفيات في غزة. أمّا الإستراتيجية الأخيرة التي اعتمدتها، فهي «الثقة المفرطة»؛ إذ ويحسب أبو صليّح، يبالغ الاحتلال في إظهار ثقته بنفسه كأداة للتسلّل إلى اللاوعي الجمعي، وهو ما يفسّر أيضاً أن كثراً تساءلوا «إنْ كان الناطق باسم الجيش، هاغاري، يستغبي العالم. ولكنه لم يكن يفعل ذلك، فهو يظنّ أن كلّ ما يقوله صادق وعلى الجميع تصديقه أيضاً، كنتيجة لثقته المفرطة بنفسه».

لم تنجح الحرب الدعائية للاحتلال في المعركة على الرأي العام (أ ف ب)

المدارس والمستشفيات تضيق بالنازحين: لا مكان آمناً

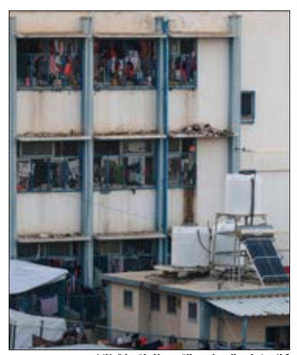

كانت أولى المدارس التي طاولتها قذائف المدفعية «مدرسة خليفة بن حمد» (أ ف ب)

غزة ـ يوسف فارس

لم تتوقّف جريمة تدمير المستشفى «الإندونيسي» في حيّ تل الزعتر شمالي قطاع غزة، عند ما تسبّب به القصف المباشر، من تدمير لغرف العناية المركّزة، واستشهاد لأكثر من 15 مصاباً كانوا يتلقّون العلاج، ثمّ توقيفٍ للمستشفى عن العمل بشكل كلّي، واحتجاز لأكثر من 2000 نازح و700 مصاب في أقسامه المدمّرة، إذ استهدف القصف، في الوقت عينه، مربّعاً يحوي أكثر من خمس مدارس، تحوّلت مع بدء الحرب إلى مراكز إيواء، ونزح إليها عشرات الآلاف من المواطنين، من الأحياء التي طاولها القصف الجوي العنيف خلال الأيام الـ23 التي سبقت بدء العملية البرية، من مثل بيت حانون، وبيت لاهيا، والسكة، والعزبة، ومدينة الشيخ زايد، ومدينة العودة، وأبراج الندى والقرية البدوية، وتل الزعتر، ومشروع بيت لاهيا.

وكانت أولى المدارس التي طاولتها قذائف المدفعية، «مدرسة خليفة بن حمد»، حيث سقطت عدّة قذائف مدفعية في الطابق العلوي منها في تمام الساعة الثانية من ليل الأحد - الإثنين، وتسبّبت باستشهاد وإصابة العشرات. ثمّ توالى القصف إثر ذلك، وطاول بشكل مباشر محيط أربع مدارس أخرى في المربّع نفسه، هي «الكويت» و«حلب» و«بيت لاهيا الجديدة» و«عوني الحرثاني»، ليتسبّب بموجة نزوح جماعية. هكذا، انطلق سيل بشري مهول وسط الليل الحالك، من مربّع «الإندونيسي» المستهدف، إلى عمق مخيم جباليا، حيث المشهد الذي كشفت عنه ساعات الصباح الأولى في شارع الترنس ومحيط عيادة «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين» (أونروا) وسط المخيم كان صادماً: عشرات الآلاف من الأطفال والنساء، والمسنّين، والجرحى، والمرضى، والأطباء، يفترشون الشوارع، بينما دفق بشري آخر، يسير بغير هدى إلى المجهول، «إلى أين تذهبون؟»، سأل مراسل «الأخبار»، فأجاب رجل خمسيني يدفع والدته المسنّة على كرسي متحرك: «مش عارفين، قصفونا وإحنا نايمين، حتى اللحظة مش عارفين بحلم ولا بعلم إحنا».

في تمام الساعة السابعة صباحاً، كان الآلاف من الأهالي يخرجون من معسكر جباليا بحثاً عن مكان يؤويهم، فيما آخرون قصدوا الطريق إلى مناطق جنوب وادي غزة. لكنّ السبيل إلى شارع صلاح الدين ليس سهلاً؛ إذ يلزم من يعزم على النزوح عبره، أن يمتلك كثيراً من المال، وكثيراً من الشقاء أيضاً. يقول النازح رامي محمد، الذي عشرات الآلاف من الأطفال والنساء، خاص المغامرة: «تطلّب وصولنا من حيّ الشيخ رضوان إلى مفترق والمسنّين، والجرحى، والمرضى، الكويت، وهو آخر نقطة يُسمح والأطباء، يفترشون الشوارع، بينما للسيارات بالوصول إليها، دفع دفق بشري آخر، يسير بغير هدى مبلغ 100 دولار، علماً أن تكلفة إلى المجهول، «إلى أين تذهبون؟»، مواصلة كهذه في الوضع الطبيعي سأل مراسل «الأخبار»، فأجاب 3 دولارات فقط، ثمّ مشينا لأكثر من رجل خمسيني يدفع والدته المسنّة ساعتين، حتى وصلنا إلى نقطة على كرسي متحرك: «مش عارفين، تمركز الدبابات على مفترق صلاح قصفونا وإحنا نايمين، حتى الدين، ثمّ مشينا ساعة أخرى حتى اللحظة مش عارفين بحلم ولا بعلم وصلنا إلى مخيم النصيرات، ومن إحنا». هناك، دفعنا 100 دولار أخرى للوصول إلى مدينة خانيونس جنوب غزة».

على أن الشقاء الجسدي والتكلفة المادية، ليسا أكثر ما هو مؤذٍ في تلك المغامرة. تقول النازحة حنين عابد، التي خاضت الرحلة برفقة ثلاثة من أبنائها، إنها اضطرت للمشي فلسطين، فما كان من ابني الذي لم يتجاوز من العمر التسع سنوات إلّا أن ردّ صارخاً، راحت إسرائيل... راحت أميركا يا ولاد الكلب، فلسطين ما بتروح».

في جباليا، حلّ الليل البارد. تجوّل مراسل «الأخبار»، ليل الإثنين - الثلاثاء، بين المئات من الأهالي الذين يبيتون على بلاط الشوارع: فتاة عشرينية تحتضن ثلاثة أطفال وتلتصق بالجدار، عجائز ومسنّون بالقرب من سوق المخيم المهجور والمعتم، فيما تحت واحدة من بسطات الباعة يحتمي العشرات من المطر المنهمر من دون غطاء ولا فراش، ومن بينهم ثلاثة مصابين نزحوا من «الإندونيسي». تظنّ نفسك أمام مشهد من فيلم رعب، قبل أن يتبادر إلى ذهنك سريعاً أن ظلام السوق يخفي المئات من أمثال هذا المشهد، وربما ما يفوقه إيلاماً.

> الشقاء الجسدي والتكلفة المادية، ليسا أكثر ما هو مؤذٍ في مغامرة النزوح

مئات الأمتار من فوق جثامين الشهداء المتحلّلة، أو العائلات التي قُصفت وهي في طريقها إلى «حيث كنّا نتّجه». تتابع في حديثها إلى «الأخبار»: «حين مررنا من أمام الدبابة الإسرائيلية، كان هناك جندي يمسك مكبّر صوت، وقال لنا اعبروا اعبروا راحت غزة، راحت

أميركا تكسر الخطّ الأحمر العراقي: حَراكٌ متجدّد لإخراج الاحتلال

بغداد ـ فقار قاضد

مع استهداف طائرة مُسيّرة مركبة تابعة لـ«الحشد الشعبي» غرب بغداد، أمس، في ظلّ تهديدات أميركية للمقاومة العراقية التي تنفّذ هجمات على القواعد الأميركية في سوريا والعراق، رفعت قوى عراقية مستوى الضغط على حكومة محمد شياع السوداني لإنهاء الاتفاقات الأمنية مع الولايات المتحدة ودول «التحالف الدولي»، تمهيداً لطردها من البلاد. وللمرّة الأولى منذ بدء استهداف القواعد الأميركية في العراق وسوريا بالمُسيّرات والصواريخ قبل أسابيع، نقلت وكالة «فرانس برس» عن مسؤولَين أمنيين عراقيين قولهما إن «مركبة للحشد الشعبي كانت ضمن رتل مكوّن من أربع سيارات استُهدفت قبيل الفجر على الطريق السريع في منطقة أبو غريب بطائرة من دون طيار، ما أسفر عن مقتل شخص وأضرار». وكانت واشنطن قد هدّدت باستهداف فصائل المقاومة في العراق، والتي تعلن مسؤوليتها عن الهجمات ضدّ القواعد الأميركية في بلدها وفي سوريا، وهي نفّذت قبل ذلك ضربات ضدّ أهداف مرتبطة بإيران، وفق ما أعلنت، على الأراضي السورية.

وناقش السوداني مع لجنة الأمن والدفاع النيابية، الأحد الماضي، مستقبل «التحالف الدولي» في العراق. وأكد نواب من اللجنة أن هناك توجّهاً لصياغة جدول زمني لخروج القوات الأجنبية من البلاد، نظراً إلى الاستقرار الأمني الحالي. وتشكّك الكثير من الجهات الداخلية، خاصة القوى السياسية والفصائل المسلّحة المرتبطة بها، في نوايا «التحالف»، ولا سيما القوات العسكرية الأميركية، وذلك نتيجة تحرّكاتها قبل شهرين على الشريط الحدودي بين سوريا ومناطق في شمال العراق وغربه. وكان السوداني قد أكّد، في أكثر من مناسبة، عدم حاجة البلاد إلى أيّ وجود عسكري أو قوات قتالية أجنبية، موضحاً أن ثمّة تفاهمات مع واشنطن بصيغ التعاون الثنائي بعيداً من «التحالف الدولي». وتفيد مصادر حكومية بأن «هناك بالفعل ضغوطاً أميركية شديدة على السوداني وشخصيات دينية وسياسية لضبط هجمات فصائل المقاومة ضدّ قواتها في المنطقة»، كاشفةً، لـ«الأخبار»، أن «السوداني أكّد لسفيرة الولايات المتحدة، الينا رومانوسكي، أنه يُجري بشكل مستمرّ محادثات مع قادة الفصائل بشأن الهجمات».

وفي السياق نفسه، يؤكد عضو لجنة الأمن والدفاع النيابية، حسين العامري، لـ«الأخبار»، أن «القوات الأمنية العراقية قادرة على فرض الأمن والإمساك بالحدود مع الدول المجاورة»، مشيراً إلى أن «العراق لديه أجهزة أمنية متنوّعة تتوفّر لديها إمكانات متطوّرة». ويلفت إلى أن «عصابات داعش انتهت بفضل قواتنا الأمنية والحشد الشعبي؛ وبالتالي، من المستحيل عودة تلك العصابات بسبب وجود تنسيق أمني عالٍ في جميع محافظات البلاد، ولا سيما تلك التي كانت تتواجد فيها العصابات الإجرامية». ويبشّر تواجد قوات «التحالف الدولي»، برى أنه «لا حاجة إليها، وهذا ما أكده رئيس الحكومة والقائد العام للقوات المسلحة سابقاً، كونها مكلفة على العراق مادياً»، مؤكداً أن «البرلمان، بالتنسيق مع الحكومة، يسعى إلى وضع جدول زمني لخروج قوات التحالف».

ويتفق عضو حركة «الصادقون» النيابية، الجناح السياسي لـ«حركة عصائب أهل الحق»، حسن سالم، مع العامري، على أن «العراق ليس بحاجة إلى قوات التحالف الدولي. وفضلاً عن ذلك، تشكّل القوات الأميركية خطراً كبيراً على الأمن العراقي». ويرى سالم، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «الاحتلال الأميركي يتذرّع دائماً بوجود عناصر داعش والإرهاب، لكن في الحقيقة هذه حجّة للبقاء لتنفيذ مخطّطات أخرى. ولا نستبعد دعم إسرائيل من داخل العراق». ويدعو جميع القوى السياسية والحركات الشعبية إلى «توحيد موقفها لإنهاء وجود التحالف الدولي، بسبب انتفاء الحاجة إليه، حيث لم يعد بقاؤه في مصلحة العراق أبداً». لافتاً إلى «أننا طالبنا الحكومة السابقة بذلك لكنها لم تستجب. وحالياً نطالب السوداني بإيجاد الطرق المناسبة لإنهاء الملفّ بالسرعة الممكنة». ويشير إلى أن «الولايات المتحدة داعمة لإسرائيل ضد فلسطين وشعبها»، معتبراً أنه «علينا جميعاً كمسلمين ومقاومة أن نتوحّد لطرد المحتلّ الأجنبي من بلادنا، كونه الشرّ المطلق علينا». كاشفاً «أننا نسعى داخل البرلمان إلى جمع تواقيع في الفصل التشريعي الجديد لعقد جلسات تتعلّق بوجود التحالف الدولي، كما عملنا سابقاً وأصدرنا قراراً يقضي بإخراج القوات الأجنبية من البلاد، لكن بقي من دون تنفيذ».

> السوداني أكّد للسفيرة الأميركية أنه يُجري بشكل مستمرّ محادثات مع قادة الفصائل بشأن الهجمات

من جانبه، يرى الخبير الأمني، صفاء الأعسم، أن «الغاية من وجود التحالف الدولي كانت صدّ الهجوم الخارجي على العراق، والذي يتمثّل في وجود الإرهاب وداعش، لكن في الوقت الحالي تقريباً انتفت الحاجة وانتهت المهمة المنوطة بقوات التحالف». ويعتقد أن «هناك جهات تعمل على أن يستمرّ الإرهاب داخل العراق، لغرض بقاء قوات التحالف أو القوات الأميركية»، معتبراً أن «هذا سبّب حرجاً كبيراً لرئيس الوزراء، خاصة بعد قصف فصائل المقاومة التي من المفترض أن تمتثل لأوامره». ويرى أن «قوات التحالف من الصعب خروجها في الوقت الحالي، لأن بقاءها مشروط بعدّة اتفاقيات. والحكومة الحالية لا تريد أن تفقد التوازن مع أيّ طرف، خاصة أن المنظومة العسكرية العراقية تحتاج إلى تسليح، وهي تعمل وفق العقيدة الغربية من ناحية التسليح، بعدما كانت سابقاً تتسلّح من روسيا».

أما الخبير الأمني، أحمد الشريفي، فيقول إن «هناك نوايا لإخراج قوات التحالف والقوات الأميركية، لكن هل تكفي النوايا لتوفير مستلزمات إدارة الصراع مع الولايات المتحدة؟ بالتأكيد كلا، لأنه لا البعد السياسي ولا الدبلوماسي ولا العسكري، كل ذلك يعطي مرونة للعراق في هذا الملف». ويشير إلى أن «هناك هيمنة أميركية على مؤسّسات الدولة، ولدى الولايات المتحدة غطاء بموجب الدستور بوصفها حليفاً إستراتيجياً»، مذكّراً بأن «واحداً من مرتكزات منح المباركة الدولية لحكومة السوداني، هو أن يكون برنامجها الأساسي تفعيلاً لاتفاقيتَي الإطار الإستراتيجي والتعاون الأمني مع الولايات المتحدة».

مسيّرة أميركية تستهدف مركبة لـ«الحشد» قرب بغداد (أ ف ب)

دعوة إلى جمعية عُمومية

تدعو نقابة مُعلّمي اليوما في لبنان جميع الأعضاء المُنتسبين لحُضور الجمعية العُمومية المُخصصة لانتخاب أربعة أعضاء في مجلس النقابة وللمُصادقة على التقرير المالي وإبراء ذمة مجلس النقابة الحالي وذلك يوم الأربعاء الواقع فيه الثالث عشر من شهر كانون الأول ٢٠٢٣ وذلك في سنتر ديرجيان - انطلياس - مفرق النقاش من الساعة العاشرة صباحاً ولغاية الساعة الثانية عشر من بعد الظهر وفي حال لم يكتمل النصاب تُؤجل وتُرجأ حُكماً الجمعية العُمومية إلى ٢٠٢٣/١٢/٢٠ بمن حضر ولكل من يرغب بالترشح عليه تقديم طلبه إلى أمانة سر المجلس على الأقل قبل ثلاثة أيام من تاريخ الانتخابات.

طوفان الأقصى

الاقتصاد - الفقاعة ينفجر مجدّداً
الضفة تئنّ تحت الحرب

رام الله - **أحمد العبد**

يبدو تدهور الوضع الاقتصادي في الضفة الغربية واضحاً للعيان، حيث أسواق المدن فارغة، فيما يُسجَّل ضعف في الإقبال وتراجع في القدرة الشرائية للمواطنين. ولا يبدو هذا التدهور مستغرباً؛ نظراً إلى أن اقتصاد الضفة استهلاكي بالدرجة الأولى، ويعتمد على الإنفاق، ما يعطي في أوقات الرخاء انطباعاً خاطئاً سرعان ما يتبدّد مع كلّ أزمة، إذ يتعزّى الاقتصاد والمواطن، ومعهما السلطة الفلسطينية التي يتجلّى عجزها وضعف أدواتها. والحقيقة هي أن هذا الاقتصاد يعتمد على شرائح عدّة تُسهم بشكل رئيس في تحريك عجلته، أبرزها فئة العمّال الفلسطينيين في الداخل المحتلّ، والتي تصبح عند كلّ محكّ في دائرة الخطر؛ علماً أن عدد هؤلاء يناهز 200 ألف، يعملون في قطاعات مختلفة، ويضخّون في السوق الفلسطينية ملايين الدولارات شهرياً. لكن العمّال في داخل «الخطّ الأخضر» تعرّضوا، منذ بدء العدوان على غزة، لعمليات اعتداء وقمع وتنكيل وسلب وطرد، ترافقت خصوصاً مع إعلان الاحتلال إغلاق المعابر والحدود ومنْع الفلسطينيين من الدخول، ما جعل عشرات الآلاف عاطلين من العمل.

> **8% من المنشآت الاقتصادية تعرّضت لاعتداءات مباشرة من جيش الاحتلال والمستوطنين**

وترتّبت على هذا الواقع، مشكلات اقتصادية كبيرة، لا تقتصر على غياب القدرة على الإنفاق، وانعكاس ذلك على الوضع العام فقط، بل تتعدّاهما إلى أن السلطة الفلسطينية التي ألزمت العمّال بتحويل رواتبهم إلى البنوك منذ أشهر، وأغرتهم بالحصول على قروض، لم تَعُد قادرة على سداد تلك المستحقّات، فيما الخسارة الشهرية الناجمة عن تسريح العمّال تُقدَّر بنحو مليار و250 ألف شيكل (313 مليون دولار). أمّا الشريحة الأخرى الأكثر تضرّراً، فهي شريحة موظّفي السلطة؛ إذ لم تتمكّن الأخيرة، إلى الآن، من صرف رواتبهم عن شهر تشرين الأول، علماً أنها تقول، منذ أكثر من عامين، إنها تعيش أزمة مالية، تضطرّها لأن تصرف للموظفين نسبة من رواتبهم تُراوح بين 70% و80%، لكنها لم تستطع صرف أيّ نسبة عن الشهر الماضي، رغم دخول تشرين الثاني ثلثَه الأخير. وكانت رفضت السلطة تسلّم أموال المقاصة التي تحوّلها إسرائيل إليها، والتي تشكّل المورد الرئيس لموازنة رام الله، ومنها تُصرف رواتب الموظفين، الذين يَعدّون 140 ألفاً، ليصبح هؤلاء، اليوم، عاجزين عن تأمين احتياجاتهم المعيشية، في حين لا تؤمّن الحكومة لهم أيّ بدائل أو حلول، علماً أن رفضها تسلّم المبلغ الذي ترسله السلطة إلى غزة، سواءً إلى الموظفين الخاصّين بها، أو إلى بعض القطاعات. وبالنسبة إلى الشريحة الثالثة التي أثّر وضعها في ظلّ الحرب سلباً على الوضع الاقتصادي، فهي فلسطينيّو الداخل المحتلّ، والذين لم يتمكّنوا من الوصول إلى الضفة للتسوّق.

آثار إجراءات الاحتلال وانتهاكاته بشكل ملموس على أداء المنشآت الاقتصادية (أ ف ب)

وفي هذا الإطار، أفاد «الجهاز المركزي للإحصاء»، منتصف الشهر الماضي، بأن استمرار الحرب على قطاع غزة لمدّة شهر، وامتداد آثارها في الشهرَين اللاحقَين، وما يرافقهما من تداعيات على الاقتصاد في الضفة الغربية، سيؤدي إلى تراجع في الناتج المحلّي الإجمالي لفلسطين في عام 2023 بقيمة تُقدَّر بـ500 مليون دولار، أي بنسبة 3% مقارنة مع عام 2022، بعدما كان من المفترض أن يحقّق الاقتصاد الفلسطيني نموّاً نسبته 3% في العام نفسه، وذلك نتيجة توقّف عجلة الإنتاج اليومية في القطاع، مع تقديرات بتجاوز معدّلات البطالة في فلسطين، 28% في عام 2023، ارتفاعاً من 25,5% العام الماضي. وبدورها، حذّرت الأمم المتحدة، من أن معدّل الفقر لدولة فلسطين سيرتفع بنسبة 34%، ليرزح نصف مليون شخص إضافي تحت وطأته في حال استمرّ العدوان لشهر ثان. ووفق تقديرات أوّلية لـ«برنامج الأمم المتحدة الإنمائي»، و«لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا» (إسكوا)، فإن إجمالي الناتج المحلّي لفلسطين سيهوي بمعدل 8,4%، ما يمثّل خسارة قدْرها 1,7 مليار دولار، إذ قدّرت دراسة تقييمية سريعة صدرت بعنوان «حرب غزة: الآثار الاجتماعية والاقتصادية المتوقّعة على دولة فلسطين»، أن الفقر قد ارتفع بمعدّل 20% مع مرور شهر على الحرب، وأن الناتج المحلّي الإجمالي انخفض في الشهر الأول بمعدّل 4,2%، فيما تقدّر «منظمة العمل الدولية» أن هناك 390 ألف وظيفة فُقدت إلى الآن. ووفق توقّعات الدراسة، فإنه في حال استمرّت الحرب شهراً ثالثاً، سيرتفع معدّل الفقر بنحو 45%، ما سيزيد عدد الفقراء بأكثر من 660 ألفاً، بينما سيبلغ انخفاض إجمالي الناتج المحلّي 12,2%، مسجّلاً خسائر إجمالية تصل إلى 2,5 مليار دولار. وفي ما يخصّ القطاع الصناعي والتجاري، ذكرت وزارة الاقتصاد الوطني أن 25% من المنشآت الصناعية والتجارية أغلقت على نحو كامل أو جزئي في الضفة الغربية، مشيرةً إلى أن ما تقوم به قوات الاحتلال الإسرائيلي من اقتحامات للمدن وتقييد لحركة تنقّل الأفراد والبضائع، وما تفرضه من إجراءات تعسفية، اضطرّ المنشآت الاقتصادية للإغلاق لفترات طويلة منذ بداية العدوان. وأوضحت أن 8% من المنشآت الاقتصادية تعرّضت لاعتداءات مباشرة من جيش الاحتلال ومستوطنيه، ما تسبّب بضرر مباشر في أحد أصولها الثابتة أو البضائع التي تملكها. كما أن الإيرادات الشهرية لأغلب المنشآت الخدمية تراجعت بمتوسّط بلغ 75%، خاصة أنشطة المطاعم، والفنادق، والسياحة والسفر، والنقل، مع الإشارة إلى أن قطاع الخدمات يسهم بحوالى 30% من الناتج المحلّي الإجمالي. وذكرت الوزارة أن 78% من المنشآت تعاني صعوبة في التنقّل وتوزيع البضائع بين المدن بسبب إجراءات سلطات الاحتلال التعسفية، ووضع الحواجز، وعمليات اقتحام المدن والمخيمات والبلدات الفلسطينية، مضيفةً أن هناك تراجعاً في الطاقة الإنتاجية للمنشآت الصناعية بنسبة 50%، في حين سجّلت 90% من المنشآت تراجع مبيعاتها الشهرية، بمتوسّط بلغ 52%. ولفت تقرير الوزارة إلى أن ما يقرب من 29% من المنشآت تراجع فيها إجمالي عدد العاملين، و52% من المنشآت تقلّصت فيها أيام العمل، و35% منها تراجعت فيها ساعات العمل اليومية.

كذلك، أثّرت إجراءات الاحتلال وانتهاكاته في الضفة الغربية بشكل ملموس على أداء المنشآت الاقتصادية، وخصوصاً في القطاع التجاري. إذ أفادت 90% من تلك المنشآت بتراجع مبيعاتها الشهرية بمتوسّط بلغ 52%، موضحةً أن من أبرز السلع التي انخفضت مبيعاتها: مواد البناء، السيارات، الأثاث والمفروشات، الملابس والأحذية، مواد التنظيف، اللحوم الطازجة، وبعض السلع الغذائية كمنتجات الحلويات والمكسرات. كما أفادت 92% من المنشآت الصناعية، بحسب التقرير، بأنها تعمل بأقلّ من طاقتها الإنتاجية الاعتيادية بمتوسط 50%، مبيّنةً أن من أبرز القطاعات الصناعية التي تراجعت طاقتها الإنتاجية: الحجر والرخام والباطون الجاهز، الصناعات الإنشائية، والصناعات الكيماوية ومنتجات التنظيف، صناعة الحلويات، منتجات الحديد والألمنيوم والصناعات الورقية.

الضربة اليمنيّة توتّي مفعولها
سفن إسرائيل تتحاشى باب المندب

صنعاء - **رشيد الحداد**

ردّت صنعاء على التهديدات الأميركية والإسرائيلية، غداة احتجازها سفينة «غالاكسي ليدر» الإسرائيلية وسحبها إلى ميناء الحديدة، متوعّدةً بضربات مؤلمة في حال تفكير الدولتَين، أميركا وإسرائيل، بالاعتداء على اليمن. وأكدت أن أيّ كلام عن الإفراج عن السفينة ليس ممكناً قبل تحقيق شرطَين، هما: وقف العدوان على قطاع غزة، والسماح بإدخال المساعدات إليه. وكانت الإدارة الأميركية قد عبّرت عن غضبها بعدما أعلنت صنعاء فرض حظر على كلّ السفن المتّجهة إلى الموانئ الإسرائيلية أو العائدة منها. وأعلن الناطق باسم وزارة الخارجية الأميركية، ماثيلو ميلر، أن بلاده سوف تتشاور مع شركائها وحلفائها لاتّخاذ إجراءات لم يكشف عن طبيعتها، ردّاً على هجمات القوات اليمنية في البحر الأحمر وباب المندب. ووصف احتجاز السفينة الإسرائيلية بـ«الانتهاك الفظّ للقانون الدولي»، مطالباً «صنعاء بالإفراج عنها فوراً».

وأثار الكلام الأميركي ردود فعل ساخرة من قِبل ناشطين عرب ويمنيين على مواقع التواصل الاجتماعي، ورأى هؤلاء أن من يعطي الجرائم الوحشية الإسرائيلية في غزة، ويعدّها «دفاعاً عن النفس»، هو آخر من يجب أن يتحدّث عن القانون الدولي. أمّا في إسرائيل، فقد دانيال هاغاري، بالردّ بالتشاور مع الولايات المتحدة، قائلاً إن «أميركا تمتلك قوات في مضيق باب المندب، محاولاً التنصّل من علاقة السفينة بإسرائيل، ومتّهماً صنعاء بـ«تعريض الملاحة الدولية للخطر»، على رغم تأكيد الأخيرة أن عملياتها تقتصر على السفن الإسرائيلية، إذ تمرّ عبر مضيق باب المندب أكثر من 50 سفينة وناقلة نفط يومياً من دون اعتراض.

> **إذا توقفت أميركا وإسرائيل عن قتل الفلسطينيين، وادخلت الماء والدواء والغذاء إلى غزة، فعندها يمكن الحديث عن السفينة الإسرائيلية**

في هذا الوقت، تمكّنت صنعاء، فضلاً عن احتجاز «غالاكسي ليدر»، من إجبار سفينتَين تجاريتَين تعملان لمصلحة شركات إسرائيلية على تغيير مسارهما بالقوة. وأفادت بيانات ملاحية، مساء أول من أمس، بأن السفينتَين «غلوفيز ستار» و«هيرميس ليدر» غيّرتا مساري إبحارهما بعيداً عن البحر الأحمر، وقالت إنهما تتبعان الشركة نفسها التي كانت مرتبطة بها السفينة «غالاكسي ليدر». وأوضحت شركة «أمبري» البريطانية للأمن البحري، بدورها، أن «إحدى السفينتَين عادت من حيث أتت وتكبّدت اضطراباً تجارياً لمدة 4 أيام على الأقلّ، وأبحرت نحو 2000 ميل بحري إضافي»، مضيفة أن «السفينة غلوفيز ستار انحرفت لعدة ساعات في البحر الأحمر قبل أن تواصل مسارها بعيداً عنه».

وفي تعليقه على ذلك، أكد عضو المكتب السياسي لحركة «أنصار الله»، علي القحوم، لـ«الأخبار»، أن «تصعيد العمليات البحرية ضدّ السفن الإسرائيلية عمل مشروع، ويتزامن مع استمرار العمليات الهجومية الجوية التي ستنفّذها صنعاء بواسطة القوة الصاروخية وسلاح الجو المسيّر». وأشار إلى أن «اليمن في حالة حرب مفتوحة مع الكيان الصهيوني. ومن أجل نصرة الشعب الفلسطيني، سوف نواصل تنفيذ المزيد من الهجمات بأسلحة متطوّرة، وسنضرب العدو في عمق الأراضي المحتلة». وعن التهديدات الأميركية، قال القحوم إن «اليمن، دولةً وقيادة، اتّخذ القرار الصحيح، وفرض أكثر من معادلة عسكرية، بعدما ضرب إسرائيل في عقر دارها، وفرض حصاراً مشدّداً على الملاحة البحرية للكيان». ولوّح بتوسيع العمليات ضد إسرائيل، مؤكداً أن «كلّ الخيارات مفتوحة ولن نتردّد في اتّخاذ كلّ الخطوات الرادعة لهذا الكيان الغاصب»، متوعّداً أميركا وإسرائيل «بضربات مؤلمة في حال تفكير الدولتَين بالاعتداء على اليمن». ولفت إلى أن «اليمن يمتلك اليوم كلّ عوامل القوة، وأميركا وإسرائيل لا تفهان سوى لغة القوّة، وعليهما أن تحسبا حساباً لصنعاء».

وفي الإطار نفسه، وضعت صنعاء شرطَين أمام واشنطن قبل الحديث عن مصير السفينة «غالاكسي ليدر». وقال عضو «المجلس السياسي الأعلى» الحاكم، محمد علي الحوثي، في منشور على منصة «إكس»، إنه «إذا توقفت أميركا وإسرائيل عن قتل الفلسطينيين في قطاع غزة، وأدخلت الماء والدواء والغذاء، فعندها يمكن الحديث عن السفينة الإسرائيلية». من جهتها، وتحت ذريعة تهديد الملاحة البحرية، عرضت حكومة عدن نفسها مجدّداً على «المجتمع الدولي» كبديل، معتبرةً أن تأمين البحر الأحمر ممّا وصفته بـ«الخطر الحوثي»، يتطلّب دعمها وإعادة السلطة في صنعاء إليها. وقالت مصادر دبلوماسية مطّلعة، لـ«الأخبار»، إن «حكومة عدن التي حاولت توظيف العمليات التي قامت بها صنعاء للحصول على المزيد من الدعم الأميركي، أبلغت إسرائيل عبر الإمارات رفضها لتلك العمليات، ووصفتها بالأعمال الإرهابية التي تهدّد الملاحة الدولية».

يشار إلى أن المتحدث باسم جيش الاحتلال كان قد وصف تلك الحكومة بـ«الصديقة والموالية للأصدقاء المعتدلين العرب»، وقال إنها «تقف مع حلفاء أميركا في المنطقة».

شرخ داخل «العمال» البريطاني: ستارمر يقود المتأسرلين

مواقف قيادة «حزب العمل» البريطاني المعارض في دعم دولة الاحتلال، والتغطية على جرائم الإبادة الجماعية في غزة، ورفض الدعوات إلى وقف إطلاق النار، ليست استثناءً في تاريخ تموضع حزب يسار النظام الملكي. إلّا أنها تبدو اليوم أكثر إحراجاً، بهدف طمأنة النخبة الحاكمة، ومعها الأميركيون، إلى استقرار النظام في حال تمكّن «العمّاليون» من انتزاع السلطة في الانتخابات العامة المقبلة

لندن - **سعيد محمد**

قطع السير كير ستارمر، زعيم «حزب العمل» البريطاني المعارض (يسار الوسط)، والطامح إلى تولّي رئاسة الوزراء بعد الانتخابات العامة المقبلة، الشكّ باليقين، في شأن موقف قيادة حزبه من الحرب الإسرائيلية على غزة، وذلك في خطاب ألقاه، قبل أسبوعين، أمام منسوبي «المعهد الملكي البريطاني للشؤون الدولية» (تشاتام هاوس)، إذ حدّد أميركا وسائر القوى الغربية، في دعمها حرب الإبادة الجماعية في القطاع، ورفْض الدعوات إلى وقف إطلاق النار، لأن من شأن ذلك أن يترك البنية الأساسية لـ«حماس» سليمة، و«مصدر تهديد محتمل» للكيان. لكنّه قبل مبدأ «الهدن» الإنسانية، لتسهيل جهود إغاثة السكان المدنيين الغزيين من قِبَل «المجتمع الدولي».

كلمات ستارمر في خطابه المشار إليه، كانت منتقاة بحرفيّة، مع تطعيمات شكلية متوقّعة من زعيم سياسي بدأ حياته المهنيّة محامياً لحقوق الإنسان: أمور من مِثل التخفيف من «المعاناة الإنسانية»، وضرورة اتّباع قواعد «القانون الدولي» - عند قتل المدنيين. فزعيم «حزب العمل» كان يخاطب في «تشاتام هاوس»، ممثّلي النخبة البريطانية الحاكمة، عرابة المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين. وبما أن «السير» الذي يقود اليسار الرسمي في المملكة، طامح - ومرشّح جدّي - لتولّي منصب رئيس وزراء الملك تشارلز الثالث، بعد الانتخابات العامة المرتقبة في الشهر الأول من عام 2025، فقد كان ضرورياً له أن يطمئن النخبة البريطانية، وراعيتها الأميركية، إلى أنه يمثّل انفصالاً تامّاً ونهائياً عن تجربة «حزب عمل جيريمي كوربن» - اليساري الوردي -، وقادر على التموضع في إطار مربّع «حلف شمال الأطلسي»، والنظام الرأسمالي، والحكم الملكي، ودعم إسرائيل، على رغم كلّ الانتقادات الحزبية الداخلية والاحتجاجات الجماهيرية المتكرّرة التي تقوم بها قواعد الحزب وجمهوره، وبالتالي مؤهّل تماماً لتولّي المنصب التنفيذي الأرفع في هيكلية السلطة البريطانية.

ويبدو أن الخطاب حقّق أغراضه؛ إذ إن الصحف البريطانية الرئيسة - وكلّها ناطقة بلسان النخبة الحاكمة وأثرياء المملكة - تعاطت مع مضمونه بإيجابية لافتة، فيما عزّزت التظاهرات الصاخبة المناهضة للحرب على غزة من قيمة الرسالة التي أراد صاحبها البعث بها إلى كلّ المعنيين بمستقبله، سواء في لندن أو في واشنطن. وفي ترجمة عملية لمضمون الخطاب، أصدر ستارمر تعليمات صريحة بتصويت نواب حزبه في «مجلس العموم» (النواب) بالتماهي مع موقف «حزب المحافظين» اليميني الحاكم، ضدّ مشروع قرار تقدّم به «الحزب القومي الاسكتلندي» لتعديل خطاب الملك للدورة البرلمانية، وتضمينه دعوة إلى وقف إطلاق النار في غزة. ومن بين 650 نائباً بريطانياً، صوّت 125 نائباً فقط، لمصلحة المشروع، ومن بينهم 56 نائباً عن «العمل» تمرّدوا على توجيهات قيادتهم، فيما اضطرّ ثمانية من وزراء الظلّ إلى الاستقالة من مناصبهم في طاقم ستارمر، لاعتراضهم على موقف الحزب، بعضهم لأسباب مبدئية، وآخرون تجنّباً لفقدان مقاعدهم في الانتخابات المقبلة في مناطق تبدو شعبياً مؤيّدة للفلسطينيين.

> **عمل ستارمر بشكل ممنهج، منذ تولّيه قيادة «حزب العمل» بعد هزيمة عام 2019 الانتخابية، على استئصال شافة كلّ من يمكن أن يدعم الفلسطينيين**

على أن خطاب ستارمر لم يأتِ بالطبع من فراغ؛ فهو عمل بشكل ممنهج، منذ تولّيه قيادة «حزب العمل» بعد هزيمة 2019 الانتخابية، على استئصال شافة كلّ مَن يمكن أن يدعم الفلسطينيين، وتقصّد بشكل صريح طرد كوربن، الزعيم السابق للحزب، المتعاطف مع قضيّة فلسطين، ومنْعه من الترشّح على قوائم «العمل» في منطقته السكنية التي مثّلها لعدّة عقود متتالية. وتكرّست هيمنة التيار اليميني - الذي يُعدّ توني بلير زعيمه الروحي -، خلال مؤتمر الحزب الأخير في تشرين الأول الماضي، بعدما سيطر ممثّلوه على المناصب القيادية، وانعكس ذلك تصفيقاً منتظماً وحماسيّاً لكلّ جملة قالها ستارمر بخصوص تأييده لإسرائيل، وهو أمر كان مستحيلاً في المؤتمرات التي كانت تجري في عهد كوربن.

ومنذ بداية الحرب على قطاع غزة، أدلى ستارمر بتصريحات متعاقبة في دعم النظام الإسرائيلي و«حقّه (الملتبس قانونياً) في الدفاع عن نفسه» - عبر قتل المدنيين -. ووصلت به الحال إلى حدّ القول في مقابلة إذاعية، إنه يدعم قطع الإسرائيليين الماء والغذاء والكهرباء عن السكان المحاصَرين في غزة. ويمثّل موقف ستارمر استمرارية لمواقف اليسار البريطاني المخزية تجاه قضية فلسطين منذ قيام الكيان العبري، والتي تبدو مرحلة جريمي كوربن فيها استثناءً نادراً. ففي عام 1948، كان رئيس الوزراء «العمّالي»، هارولد ويلسون، من أشدّ المدافعين عن الصهيونية، واعتبر تأسيس الكيان بمثابة «تجربة اشتراكية رائعة»، فيما لم تمتلك الأحزاب اليسارية سوى الصمت على أعمال التطهير العرقي ضدّ الفلسطينيين، ولم تجد أيّ مفارقة نظرية بين ادعاء الماركسية، وتبرير مشروع هندسة اجتماعية بغيضة للاستعمار الاستيطاني نُفّذت على الأرض العربية بالدم. وفي المراحل اللاحقة، حافظ «حزب العمل» البريطاني على أوثق العلاقات مع نظيره الإسرائيلي، بما في ذلك خلال حرب الـ 1967 العدوانية. وفي عهد بلير في قيادة «العمل» ورئاسة وزراء بريطانيا، تعزّزت علاقات اليسار (الجديد) بالنظام الإسرائيلي، ورفض الحزب الدعوة إلى وقف إطلاق النار في الحرب الإسرائيلية على لبنان عام 2006، ودَعى بلير شخصياً - بعد تركه رئاسة الوزراء في 2007 - بدفع إسرائيلي، إلى تولّي إدارة «اللجنة الرباعية»، وكان دوره محورياً في تنّي السلطة الفلسطينية عن محاولتها في الأمم المتحدة الحصول على إدانة لجرائم الحرب التي ارتكبتها في غزة خلال عملية «الرصاص المصبوب» (2008-2009)، فيما اسمه مطروح حالياً - ودائماً باقتراح إسرائيلي - لتولّي منصب مبعوث أممي خاص لـ«السلام» في غزة.

ولكن أين تقف كوادر الحزب العمالية والنقابية والطلابية من هذا الانحياز المخجل إلى الإبادة الجماعية الذي تظهره القيادة، ولا سيما أن الحزب مظلّة عريضة للنقابات والتجمعات السياسية والاجتماعية اليسارية وليس حزباً تقليدياً؟ في الحقيقة، فإن يسار «حزب العمل» المتمكن على نفسه، كان حذراً في تجاوز أيّ سقوف للتعبير حول فلسطين، والتزم الثرثرة حول تقليل الخسائر في صفوف المدنيين و«الأزمة الإنسانية» الناجمة عن الهجمات الإسرائيلية، من دون المطالبة بإنهاء الاحتلال أو التعبير عن حقّ الفلسطينيين في المقاومة، بعدما خضعت الكوادر لتضييق بيروقراطية القيادة على أيّ نقاش حول الإبادة الجماعية في غزة، أو المشاركة في الاحتجاجات الشعبيّة الرافضة للحرب. ولولا اندفاع قطاعات عريضة من مكوّنات الشعب البريطاني للاحتجاج في الشوارع والجامعات ومحطّات القطار، لَما وجد بعض كبار ممثّلي الحزب البارزين حرجاً في تبنّي مواقف القيادة ذاتها، وهو ما انتهى إلى استقالة عدد من أعضاء المجالس المحلية العمّالية، تجنباً لسقوطهم شعبياً في أيّ انتخابات قادمة. كما أدلى عمدة لندن، صادق خان، وعمدة مانشستر الكبرى، أندي بورنهام، وزعيم «حزب العمّال الاسكتلندي»، أنس سرور - وهم يمثّلون مناطق فيها تجمّعات للمسلمين والعرب وتغلب عليها التيارات الوسطية -، بتصريحات صحافية مؤيّدة لوقف إطلاق النار - فحسب.

على أن جميع قيادات اليسار البريطاني، تَجد يوماً بعد يوم أن مواقفها المهادنة متأخّرة كثيراً عن توجّهات قواعدها والكتل الشعبية تجاه حرب الإبادة الجماعية الإسرائيلية في غزة، وستجد - إن استمرّت الحرب لأسابيع قليلة مقبلة - أنها ربّما حافظت على مناصبها وروابطها وامتيازاتها، لكنها حتماً ستخسر ثقة شارعها واحترامه. ويسارٌ بلا شارع، لن يكون بأيّ حال أكثر من نادٍ ثقافي للجدل الأسبوعي، عديم التأثير على الأحداث وخارج التاريخ.

متظاهرون يحملون لافتات منددة برفض ستارمر لوقف إطلاق النار في غزة (أ ف ب)

طوفان الأقصى

مقابلة | أجراها: عصري فياض

جمال حويل

الوحدة فوراً وفاءً للشهداء

مناضل معروف في فلسطين، قيادي بارز في حركة «فتح» وعضو مجلسها الثوري، مقاوم في معركة مخيم جنين، واسير محرّر. جمال حويل، وهو الدكتور المحاضر في الجامعة العربية الأميركية في جنين، له كتاب صادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية بعنوان «معركة مخيم جنين الكبرى 2002: التاريخ الحيّ». التقته «الأخبار» في جنين، وكان الحوار التالي حول معركة «طوفان الأقصى»

■ كيف تنظر إلى ما يحدث في قطاع غزة منذ أكثر من 45 يوماً والحرب المستعرة هناك؟

- في البداية، نترحّم على شهدائنا من الأطفال والنساء والشيوخ والمقاومين في غزة والضفة وكل مكان. باعتقادي أن هذا العدو الصهيوني الذي فقد الصواب منذ اليوم الأول الذي حققت فيه المقاومة النصر، أي من اليوم الأول لمعركة «طوفان الأقصى» التي كانت أكبر ضربة في وعي المجتمع الإسرائيلي والعربي والعالمي بأن إسرائيل «أوهن من بيت العنكبوت» وأنها دولة كرتونية. استطاعت المقاومة الآن أن تنتصر عليها عسكرياً وأمنياً ولوجستياً وسياسياً.

فالاحتلال، خلال أيام المعركة المستمرة، لم يستطع أن يحقق أي هدف عسكري أو أمني أو سياسي يسوّقه لمجتمعه أو للعالم، لذلك يلجأ إلى ارتكاب المجازر التي هي نهجه بالأساس كحركة صهيونية معتمدة على فكرة توراتية وكذلك كنهج استعماري تاريخي، لجأ إلى قتل عشرات الملايين من الشعوب المستعمَرة من أجل تحقيق أطماعه وأهدافه الدنيئة. انظر ماذا فعل الاستعمار البريطاني والفرنسي، وماذا فعلت أميركا بالهنود الحمر والأفارقة، قتلوا الملايين من أجل تثبيت سيطرتهم واستعمارهم، لذلك رَوّروا الحقائق وشوّهوها. كذلك تعمل إسرائيل. قتلت وجرحت عشرات الآلاف، وتحاول تشويه الحقائق وبث الأكاذيب وفبركة المسرحيات الهزيلة، كما ادعت بشأن مستشفى «الشفاء»، فروّجت وجود قيادات «حماس» والعتاد وحتى الأسرى في المستشفى وتحته، وسوّقت هذه الرواية للعالم الظالم الذي لا يعرف إلا لغة القوة مع الحق. وبالتالي أقول إن إسرائيل في بداية نهايتها، ضمن هذه المعارك التي تحدث الآن في غزة العزة.

■ هناك من راهنوا ولا يزالون يراهنون على وقوف دول وقوى محور المقاومة إلى جانب الشعب الفلسطيني في هذه المعركة، وهناك من رأى أن مشاركة قوى المحور جاءت أقل من المأمول، فماذا تقول؟

- الجواب لا؛ باعتقادي يجب أن نشكرهم مبدئياً لأن هذه القوة وفرت للمقاومة الفلسطينية المال والسلاح والتدريب والخبرات والخطط الاستراتيجية والدعم السياسي والمعنوي والحسابات. وعلى جبهة جنوب لبنان، تمكنت المقاومة الإسلامية في لبنان على سبيل المثال من تدفيع إسرائيل أثماناً باهظة، ولا تزال تتضامن مع المقاومة الفلسطينية في غزة والضفة. عندما يضطر العدو إلى تهجير سكان 25 مستوطنة من شمال فلسطين المحتلة، فهذا تدفيع للثمن، وعندما تستمر وتتواصل ضربات المقاومة لمواقع العدوّ وتحصيناته لأكثر من 45 يوماً، هذا أيضاً تدفيع للثمن وردع لهذا العدو. وعندما يقوم الجيش اليمني بالسيطرة على سفينة إسرائيلية نصرةً لغزة، فهذا تطور كبير واستراتيجي، وعندما تقوم المقاومة العراقية بشن هجمات متتالية على قواعد الأميركان في العراق وسوريا نصرة لغزة والشعب الفلسطيني، فهذا أيضاً تدفيع للثمن. لذلك محور المقاومة وقف ويقف إلى جانب شعبنا ومقاومتنا بإخلاص وصدق مختلفاً عن وقفة البعض الذي قد يقدّم المال من أجل تسمين قوى فلسطينية من أجل تسهيل ذبحها، أو من أجل ابتزازها سياسياً في مرحلة من المراحل. فكثير من الدول العربية التي طبّعت مع هذا الكيان ادّعت أنها دعمت وستدعم الشعب الفلسطيني للتغطية على ما فعلته وتفعله، لكن شتان بين دعم قوى محور المقاومة والدعم المزعوم من قبل تلك الدول المطبّعة، التي تريد وتعمل على تبنّي الرواية الصهيونية وتريد ابتزازنا سياسياً لمصلحة العدو. بالمقابل، يدعمنا المحور المقاوم من أجل تحقيق أهداف شعبنا المظلوم في التحرير والحرية والاستقلال. فكل الشكر لهذا المحور العظيم الذي وقف ويقف إلى جانب شعبنا وقوى المقاومة في مواجهة البطش الصهيوني المدعوم من قبل أميركا وقوى الغرب الاستعماري.

■ لقد كان الميدان بوتقة انصهار الوحدة الفلسطينية الحقيقية في ظل الانقسام البغيض؛ فكيف ترى فرصة «طوفان الأقصى» للتخلص من الانقسام ووحدة شعب فلسطين كقوة مطلوبة في مواجهة العدو؟

- إذا لم توحّد هذه الدماء الشعب الفلسطيني وقواه الحية، فمن هو الغبي الذي سيقف في وجه هذه التضحيات ويبقى على الانقسام ولا يتجه نحو إنهائه؟ أنا أطالب من الآن القيادة الفلسطينية بأن تذهب إلى خطوات فورية وعاجلة لإنهاء الانقسام، وتجسيد الوحدة الوطنية الفعلية والحقيقية من خلال سحب الاعتراف بإسرائيل. وأن تشكل قيادة وطنية موحدة أو حكومة إنقاذ وطني، سمّها كما تشاء. المهم الذهاب العاجل والفوري إلى وحدة حقيقية. وأنا أخاطب الرئيس محمود عباس بأخوّة «الحق حالك والحق التاريخ»، اسحب الاعتراف بإسرائيل ووحّد الشعب الفلسطيني لأن إسرائيل، وعلى مدار حكمك وأنت تطالب بالمقاومة الشعبية السلمية، لم يقدموا لك أي شيء.

وإن الاحتلال لا يريد خيراً للشعب الفلسطيني، ولا أميركا تريد خيراً للشعب الفلسطيني، وهي تقوم بكل شيء من أجل إسرائيل وبقائها وتفوقها ومساندتها في التوغل في الدم الفلسطيني، وهي حقيقة راسخة متجسدة أمامنا الآن ومن قبل. لذلك أقول: من لم يدرك حقيقة الاحتلال فهو جاهل ولا يستحق أن يحكم. وبالتالي الخطر كبير جداً، حاولوا تهجير أهلنا في غزة قسراً، وهي خطط معدّة منذ زمن طويل. وهي خطط قديمة جديدة في إدارة المخابرات والاستخبارات الصهيونية ومنذ الخمسينيات تحدث عنها الأخ العزيز الشهيد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح صلاح خلف. فأدنى ما يمكن أن نقدّمه، وفاءً لشهدائنا وجرحانا ومشرّدينا، هو التوجة فوراً وبسرعة الضوء نحو وحدة وطنية حقيقية، تنقذ الشعب الفلسطيني، وتكون قوة صلبة في وجه مخططات هذا العدو.

■ مؤتمر القمة العربية الإسلامية الذي انعقد في الرياض بعد أكثر من شهر على معركة «طوفان الأقصى» خرج بتوصيات منها البند الثالث، وهو العمل على كسر الحصار عن قطاع غزة، وهذا القرار لم يفعّل بعد؛ فماذا تقولون في ذلك؟

- مساندة شعبنا لا تحتاج إلى قمم وقرارات، تحتاج إلى فعل عملي فوري حقيقي. ورغم أن القمة هذه تأخرت لكنها عقدت؛ بعض الكلمات كانت داعمة لشعبنا ومقاومته في وجه العدوان، وبعض الكلمات كانت لا ترقى إلى أدنى مستوى من المطلوب.

المطلوب القيام بأفعال فورية، وليس أن أقول: عليهم طرد سفراء إسرائيل من عواصم التطبيع ووقف التطبيع، بل إلغاء التطبيع، ووقف تدفق النفط إلى أميركا ودول الغرب الداعم لإسرائيل فوراً. عليهم تفعيل سلاح المقاطعة ضد البضائع الإسرائيلية والأميركية وكل الدول التي تدعم الاحتلال، عليهم منع استخدام القواعد الأميركية التي هي على أراضيهم لتقديم الدعم اللوجستي للاحتلال في الحرب على غزة، عليهم فعل الكثير من مقدّرات يملكونها. نحن نبارك كل خطوة جدية فاعلة لمساندة شعبنا. ولكن أين المسيرات المليونية في مصر وغيرها؟ كنا نأمل أن تكون التظاهرات والفعاليات أكبر مما جرى ويجري بكثير.

■ يشهد العالم منذ سنوات عملية التحول من القطبية الواحدة إلى عالم متعدد الأقطاب، فهل ترى في «طوفان الأقصى» أحد أوجه هذا التحول؟

- نعم، لقد قامت أميركا، منذ عقود، بخلق أزمات حادة في منطقتنا لتحقيق أهدافها الاستعمارية، لكنها فشلت في العراق وأفغانستان والصومال وسوريا واليمن، وكل المنطقة. وادركت كل من روسيا والصين هذا الفشل، فقامت روسيا بالتقاط هذه الفرصة فخلقت لأميركا أزمة في أوكرانيا الواقعة في فضائها القريب.

أنا أعتقد أن الرابح الأول من هذه المعركة هما روسيا والصين، المنافستان الأقوى لأميركا التي قادت العالم بمزيد من الظلم والعدوان والتجبّر ونهب الخيرات والتسلط. لذلك، القول إنّ معركة «طوفان الأقصى» هي أحد تجليات هذا التغير العالمي، هو صحيح، وسيكون عالم جديد قائم على التوازن والعدالة والاستقرار. وستكون «طوفان الأقصى» مساهمة كبيرة ومهمة في هذا التغيير العالمي.

لقد حاولت أميركا، من خلال مشاريعها الفاشلة في العراق والسعودية واليمن وأفغانستان وسوريا، تقسيم البلاد العربية والإسلامية لمصلحتها ومصلحة إسرائيل. لكنها فشلت، وما المقاومة الفلسطينية وما محور المقاومة إلا حليف المحور الروسي الصيني الذي يتصدّى للمشاريع الأميركية الغربية. لذلك أعتقد أن «طوفان الأقصى» ستكون شرارة التغيير نحو المضيّ قدماً في إيجاد نظام عالمي جديد بعيد عن الظلم والاضطهاد، وأكثر استقراراً وأماناً في العالم.

من الجزائر إلى فلسطين: عن المقاومة وكلفة التحرير

عبد الله بن عمارة *

منذ بداية الحرب في غزة بدا واضحاً توظيف الخسائر البشرية والمشاهد اليومية للمجازر، من أجل تثبيط عمل المقاومة، وتسفيه مجهودها، جاء هذا التوظيف من العدو نفسه، الذي يُعتبر العنف والتدمير من صلب عقيدته العسكرية لبث الرعب في قوى المقاومة وردعها وجعلها تفكر ملياً قبل تنفيذ أي مغامرة عسكرية ضده. اصطُلح عليها منذ حرب 2006 بـ«عقيدة الضاحية»، كما جاء أيضاً من غرف إعلامية وفكرية وسياسية سوداء ممولة خليجياً، هدفها أخذ «حماس» بجريرة ضحايا القتل الذريع الذي تنفذه آلة القتل الذريع الصهيونية في غزة لإخضاع حاضنها الشعبي، من جهة، والمزايدة على حزب الله -وحلفائه- الذي يترك، وفق هذا التوظيف الخبيث، أطفال غزة يموتون يومياً، من جهة أخرى. وإن كان هذا المنطق التثبيطي، الذي يفترض أنّ ثمن حرب المقاومة الغالي يجب أن يكون مانعاً للعمل المقاوم، يخالف المسار التاريخي لكل حركات التحرّر في العالم التي قاومت قوى استعمارية تفوقها في القوة المادية، فإنّ المثال الأكثر تجسيداً في مجالنا العربي-الإسلامي لانتصار منطق الإرادة المقاومة على منطق التثبيط المبني على ارتفاع كلفة الحرب، هو المثال الجزائري.

المقاومة الشعبية الجزائرية في القرن الـ19: منطق المقاومة بمواجهة منطق الإبادة

يُعيد فشل الجيش الجزائري في صد الحملة الفرنسية وانهيار الحكم المركزي في البلاد سنة 1830، لأذ الجزائريون بمئاتهم الاجتماعية والدينية التقليدية ممثلة في القبائل والزوايا الصوفية، التي أطلقت مشروعاً تعبوياً بغية مقاومة المشروع الفرنسي الذي أظهر مبكراً نزوعه الاستيطاني وإرادته لمحو أي أثر سياسي أو ثقافي للبلاد، بتحويل أرضها إلى موقع جغرافي للنهب، وسكانها إلى أهالٍ يبيد بعضُهم بعضاً ويستعبد بعضهم بعضاً.

وكانت بداية حملات الإبادة في ضواحي العاصمة الجزائر، في حاضرة البُلَيْدَة التي بناها الأندلسيون في القرن الـ16، استباحها الجيش الفرنسي ردّاً على هزيمة تلقّاها من أول عمل مقاوم منظّم بعد سقوط الحكم المركزي، وعاث فيها ذبحاً، في مجزرة مروّعة لم يسلم منها الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال، بغية بث الرعب في قلوب قادة تلك المقاومة الشعبية من شيوخ القبائل والطرق الصوفية، وإضعاف روح المقاومة برفع كلفتها لردع باقي القبائل والطرق.

ومع تصاعد المقاومة الشعبية، بقيادات دينية وقبلية أخرى، لجأ إلى إبادة قبيلة عن بكرة أبيها في سنة 1831 هي قبيلة «العوْفية»، بنسائها ورجالها وأطفالها، والتي فاق عددها عشرة آلاف، وكذلك فعل سنة 1845، بعد أن ابتكر أسلوباً أكثر فتكاً وأقل كلفة كان أقرب للإعدام في غرف الغاز، عندما أباد قبيلة أخرى هي «أولاد رياح»، في أعقاب انتفاضة الطرق الصوفية في غرب البلاد، بإشعال النار عند مدخل كهف تحصّنت فيه القبيلة، فأُبيدت القبيلة برمّتها اختناقاً بعد أن رفض قادتها الاستسلام.

وتواصلت جرائم الإبادة، مصحوبة بالتهجير والتجويع، لكسر إرادة كل مقاومة شعبية في مختلف أنحاء البلاد، ونجد أخبارها مبثوثة في مذكّرات قادة الجيش الفرنسي نفسه في معرض الافتخار بما يسمونه «التهدئة» والقضاء على حركات المقاومة، يُقدّر ضحاياها بين 1830-1875 بأكثر من ثلث سكان البلاد البالغ عددهم في سنة 1830 ثلاثة ملايين ونصف مليون، كما يرى الأكاديمي الجزائري الفذّ المتخصص في الدراسات الديموغرافية كمال كاتب.

هكذا أراد المشروع الكولونيالي الفرنسي، كما يفعل المشروع الكولونيالي الصهيوني اليوم، أن يرسّخ منطقة القاضي بأنّ تدفيع الجزائريين ثمناً غالياً بعد كل مقاومة منظّمة أو انتفاضة شعبية طيلة أربعة عقود أو أكثر، لم يردعهم ويسحق حركاتهم المقاومة فحسب، بعد أن انتهى المطاف بقياداتها القبلية والصوفية شهداء، أو أسرى في غياهب السجون أو منفيين في أرض الله الواسعة، بل قتل روح المقاومة فيهم. ولكنّ للمقاومة منطقاً آخر يقول إنّ استمرار العمل المقاوم بعد سقوط الجزائر في سنة 1830، لأكثر من خمسة عقود، هو في حد ذاته انتصارٌ على منطق المشروع الكولونيالي الإبادي، لأنه أصرّ على رفض الاستسلام للأمر الواقع وأبقى روح المقاومة ملتهبة ورابتها مرفوعة يسلّمها شيخ طريقة لشيخ آخر، حتى تهيأت الظروف لجيل آخر وحضّرت الأقدار راية أخرى.

مصالي الحاج... منطق المقاومة تحت راية جديدة

عندما استنفدت المقاومات الشعبية كل وسائلها العنفية تجاه الاستعمار (كانت مقاومة الشيخ بوعمامة التي انتهت في أواخر القرن الـ19 آخرها)، بدأ أنّ المشروع الكولونيالي قد ثبّت قدميه في الجزائر من خلال نظامه القانوني الذي أحال المسلمين الجزائريين إلى مجرد أهالٍ بعد أن منح اليهود سنة 1870 الجنسية الفرنسية، ووضعاً اجتماعياً وقانونياً مشابهاً لوضع المستوطنين الأوروبيين، وجفّف منابع المقاومة للمجتمع الجزائري بتفكيك بنياته التقليدية، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فعمد إلى خنق الزوايا والقضاء على نفوذ شيوخ الطرق الصوفية إمّا قتلاً أو نفياً، أو إضعافاً من خلال تجريدهم من مصادر قوتهم الاقتصادية وهي أراضي الحبوس (الوقف)، والاجتماعية وهي قدرتهم على توجيه المجتمع من خلال سلطة التشريع، بإقحام قسري وعنيف لحداثة قانونية أقصت الشريعة الإسلامية. كما قضى على نظام التراتبية الاجتماعية للقبائل، في معاقل المقاومة، للحد من سلطة شيوخ القبائل بمصادرة أراضي القبائل (تُسمّى أراضي العرش في الجزائر) وتهجير بطونها وعائلاتها

> رام الاستعمار، من خلال توظيف هذا العنف المفرط، ترهيب حزب مصالي الحاج الثوري، الذي تعرّض بموازاة ذلك لحملة تثبيط من القوى التي اتهمته بتعريض حياة الجزائريين للخطر من خلال مغامراته

إلى مناطق متفرقة ومتباعدة، فأصبح الوجود الاستيطاني في البلاد، طبلة العقود الأربعة الأولى للقرن العشرين، حقيقة تاريخية مقبولة عند كل النخب الجزائرية بمختلف مشاربها الفكرية والأيديولوجية، من الإصلاحية الدينية إلى الليبرالية، إلى الماركسية.

لكنّ المهاجرين الجزائريين في فرنسا، القادمين من مختلف المناطق في الجزائر، الذين أجبرتهم ظروف التفقير وتشجيع الإدارة الاستعمارية على الهجرة للعمل في الصناعة الفرنسية التي عرفت تطوراً كبيراً في عشرينيات القرن العشرين، وجدوا أنفسهم يعانون الاضطهاد العنصري والاستغلال الرأسمالي، فوجدوا في النقابات اليسارية ملاذاً لهم للدفاع عن حقوقهم الاجتماعية، وكان من بينهم شاب اسمه مصالي الحاج، ترتّى في بيئة تقليدية، حيث كان أبوه مريداً في طريقة صوفية لحقها ما لحق بنيات المجتمع من تهميش ومصادرة، ثم هاجر إلى فرنسا. ترك مقاعد الدراسة مبكراً، لكنه كان عصامياً يقرأ ويسمع ويتابع ما استجدّ من أحداث إقليمية وعالمية، ويراكم خبرات نضالية في الحركة العمالية القريبة من الحزب الشيوعي الفرنسي.

أحيت ثورة أكتوبر 1917 آماله في النضال الاجتماعي والتحرري على حد سواء، فأسّس بمعية رفاقه حركة «نجم شمال أفريقيا» الثورية سنة 1926، كانت فعلياً النواة التي ستفضي إلى نسف النظام الكولونيالي بعد ذلك بثلاثة عقود. رسّخ مصالي الحاج منطق المقاومة بمطالبته في خطاب تاريخي في مؤتمر بروكسل سنة 1927 الذي ضمّ الحركات اليسارية المناهضة للإمبريالية في العالم، بالاستقلال التام للجزائر وللتحرر من الإمبريالية الفرنسية. في ذلك السياق، لم يكن الاستقلال غير متاح، فحسب، بل كان ذلك أشبه بالجنون في عُرف من تمكّن منهم الأمر الواقع، كان يطالب أحدّ بحتمية إزالة الكيان الصهيوني من الوجود في عزّ انتصاراته في الستينيات مثلاً. تحوّل مصالي الحاج بعد ذلك التاريخ إلى زعيم ثوري ومؤسس لوطنية حديثة، بدأت ثقافية يسارية، لكنها انتهت، بعد مراجعات قادها متأثراً بفكر السيد الأفغاني وأرسلان، إلى حركة متصالحة مع تراثها، باعتبارها الإسلام محرّكاً جوهرياً ودينامية أساسية لتعبئة الشعب من أجل تكريس منطق المقاومة وتسفيه منطق الإبادة الاستعماري.

مجازر أيار 1945: دم منطق المقاومة ينتصر على سيف منطق الإبادة

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، طالبت النخب الجزائرية («المعتدلة») بإصلاحات سياسية تحت إطار دولة فدرالية مرتبطة بفرنسا، لكن حزب الشعب المحظور وريث حركة «نجم شمال أفريقيا»، دعا أنصاره في شهر أيار للخروج في تظاهرات سلمية وحمل العلم الجزائري لأول مرة (صُمّمت وخيطت أول نسخة منه في بيت مصالي نفسه) للمطالبة بإطلاق سراح زعيمه مصالي الحاج، وبالاستقلال التام.

بدأت التظاهرات في أول أيار في عيد العمال العالمي في مختلف المدن الجزائرية، وفي الثامن من الشهر نفسه انقلبت الأوضاع في المنطقة الواقعة إلى الشمال من مدينة قسنطينة ذات الثقل الديموغرافي الكبير الذي وصل آنذاك إلى مليون نسمة، سنة 1945، والتاريخي باعتبارها جزءً من مجالات الفدرالية القبلية لكتامة التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ المغرب. عندما انطلقت تظاهرات كبيرة في مدينة سطيف أطلقت خلالها الشرطة الفرنسية النار على متظاهر كان يحمل العلم الجزائري فاردته قتيلاً. ليرد المتظاهرون الغاضبون باستهداف المستوطنين الأوروبيين في الشوارع بالأسلحة البيضاء، ليتحوّل الغضب إلى انتفاضة واسعة امتدت نحو المدن والأرياف القريبة من سطيف كخرّاطة، ثم أوقاس والمليلية وجيجل وصولاً إلى قالمة. بدأت الشرطة الكولونيالية في توزيع السلاح على المستوطنين الأوروبيين الذين شرعوا في تنفيذ المجازر رفقة الشرطة والجيش الذي باشر تنفيذ خطة لسحق الانتفاضة الشعبية، اعتمدت على الغارات المكثّفة للطيران وعلى القصف العنيف من البوارج البحرية الراسية قبالة المنطقة الجبلية. استمر العدوان لأسبوعين، أبيدت خلاله تجمعات ريفية كاملة، وقُتل الناس بالجملة في شوارع مدن المنطقة، قدّرت المصادر الجزائرية والأميركية (صحافية ودبلوماسية) الضحايا بـ45 ألف قتيل، فيما قدّرتهم لجنة تحقيق فرنسية (مع حرصها الشديد للتقليل من أعدادهم) برئاسة الجنرال توبير بـ15 ألف قتيل.

لقد رام الاستعمار، من خلال توظيف هذا العنف المفرط، ترهيب حزب مصالي الحاج الثوري، الذي تعرّض بموازاة ذلك لحملة تثبيط من القوى «المعتدلة» التي اتهمته بتعريض حياة الجزائريين للخطر من خلال مغامراته غير المحسوبة. لكن الحقيقة هي أنّ دماء أولئك الشهداء الغزيرة هي التي عجّلت بنقل الخطاب الثوري للحزب بقيادة مصالي الحاج إلى أرض الميدان بتشكيل جناح مسلح تابع للحزب سنة 1947 باسم «المنظمة الخاصة»، تولى قيادته على التوالي حسين آيت أحمد وأحمد بن بلة، تلخّصت مهمته الرئيسية في التحضير لإطلاق حرب تحرير شاملة.

المغامرات الثورية الحاسمة: من الشمال القسنطيني إلى «طوفان الأقصى»

بعد ثلاث سنوات من تشكيل المنظمة الخاصة الجناح العسكري لحزب الشعب، تمكّن الاستعمار من تفكيكها، نتيجة أخطاء أمنية ميدانية، لكن تلامذة مصالي الحاج، ممن نجوا من الاعتقال، تمكّنوا في الأخير من تجاوز الخلافات التي عصفت بقيادة الحزب وإعلان الثورة في أول شهر تشرين الثاني من سنة 1954. وتمثّلت في عمليات اغتيال وتفجير متزامنة في مختلف جهات البلاد، بعدد محدود من المقاتلين (ألف أو يقلّون)، وبدعم تسليحي من مصر الناصرية. لكن مرور تسعة أشهر على بداية الثورة أظهر صعوبة بالغة في الاستمرار؛ كان حجم العنف الفرنسي كبيراً تجاه المدنيين، تعزّزت القوات العاملة في الجزائر عدة وعديداً، وكانت الخسائر عند القيادات الطليعية الأولى فادحة، إمّا قتلاً أو أسراً، والأخطر أنّ الحرب النفسية الاستعمارية، مصحوبة بحملات التثبيط التي قادتها «النخب المعتدلة»، كانت تصب في خانة إظهار الجيش الاستعماري في صورة الجيش الذي لا يُقهر، المستعد دوماً لتدفيع الثمن لأي قوة تتحدّى إرادته. كما أنّ عمليات الثورة لم تكن بالقوة التي تهزّ الوجدان الشعبي أو تدفع إلى قطع دابر التردد في تأييد الثورة لدى الفئات الشعبية والبنيوية المحايدة، فضلاً عن تحويل خيار التعامل مع الاستعمار إلى خيار مكلف من خلال الضرب بقسوة على رموز القوى العميلة.

فكان لا بد من عملية واسعة تكسر هيبة الجيش الفرنسي، وتعيد الثقة للشعب بالثورة، لذا خطّط عقلُ أمني وعسكري مبدع، لا يعرفه الكثيرون من خارج الجزائر، هو زيغود يوسف، لتنفيذ هجمات 20 أغسطس 1955، التي صدق من سماها من المؤرّخين بالثورة الثانية، حيث باغت مقاتلو جيش التحرير الوطني مراكز للشرطة وللدرك ونقاطاً للجيش ومقرات إدارية ومحاكم وسجوناً في مدن (أبرزها مدينة سكيكدة) وقرى يسكنها المستوطنون في منطقة الشمال القسنطيني، وظلوا لساعات في بعضها بعدما رفعوا على بعض مبانيها الرسمية الأعلام الجزائرية، حيث قتلوا جنوداً ومستوطنين، وغنموا أسلحة وصفوا كل القيادات المحلية المتعاملة مع الاستعمار، وخصوصاً الموقّعين على بيان شهير «بدين العنف من أي جهة كانت». واضطرت الحاميات الفرنسية في بعض القرى للانسحاب، وكما كانت عملية «طوفان الأقصى» فإنّ هجمات الشمال القسنطيني شكّلت ضربة للاستخبارات الفرنسية ولهيبة الجيش الفرنسي الذي ظهر عاجزاً للتعامل مع هجوم واسع لقوة كان يعتبرها مجموعة من الفلاقة (قطاع الطرق).

وهل من المهم أن نذكّر في سياق منطق المقاومة وكلفته، أنّ الفرنسيين ردوا بعنف مفرط على هذه الهجمات بالقصف الجوي والمجازر ضد أرياف المنطقة، سقط خلالها، وفق المؤرّخ الفرنسي بنيامين ستورا، عشرة آلاف شهيد في أيام، عندما نعرف أنّ هذه الهجمات كانت فعلياً خطوة جريئة نحو التحرير، تزايد بعدها انخراط الفئات الشعبية في الثورة، وتفجّرت الطاقات الخلّاقة للثورة بظهور عقل أمني مبدع آخر بعد استشهاد زيغود يوسف، هو عبد الحفيظ بوصوف الذي أسّس سنة 1957 جهازاً أمنياً للثورة كان دوره حاسماً في مسار حرب التحرير، وفي السنة نفسها أسست الثورة خلايا نقلت المعركة إلى تراب العدو نفسه.

وهكذا، فإنّ قوة منطق المقاومة في الجزائر لا تُقاس بالكلفة البشرية المترتّبة عنها، وإنما في وصولها إلى التحرير ونسف أسس نظام كولونيالي عنيف عبر فعل مقاوم تراكمي بدأ منذ القرن الـ19 وانتهى إلى حرب التحرير الكبرى 1954-1962. ولن يكون الأمر مختلفاً في فلسطين، على اختلاف الظروف والسياق التاريخي، لأنّ الروح التي قاتلت في الجزائر وانتصرت وأجبرت المستوطنين الأوروبيين الذين جاؤوا من فرنسا وإسبانيا ومالطا وإيطاليا وغيرها على الرحيل، هي التي تقاتل في فلسطين وستنتصر.

* كاتب جزائري

إعلانات رسمية

إعلان قضائي

لدى المحكمة الابتدائية التاسعة في جبل لبنان، المتن، الناظرة بالدعاوى العقارية، برئاسة القاضي سيلفر أبو شقرا، تقدم المُستدعيان ناجي وزياد الشايب بوكالة المُحامي ريشار عويس باستدعاء سُجل بالرقم 2022/196 بوجه المُستدعى ضدها منيرة مخايل حبيب الشايب المجهولة محل الإقامة، يطلبان فيه إزالة الشيوع بالعقار 28 العقيبة العقارية، على المُستدعى ضدها الحُضور إلى قلم المحكمة لتبلغ الاستدعاء وفي حال تخلفها يُعتبر التبليغ حاصلاً وبُعد كل تبليغ إليها بواسطة رئيس القلم صحيحاً باستثناء الحُكم النهائي.
مُهلة المُلاحظات والاعتراض خلال خمسة عشر يوماً تلي مُهلة النشر.
رئيس القلم كيوان كيوان

الأخبار
اشتراكات
توزيع
إعلانات
www.al-akhbar.com
71-513571
01-759500

تقرير

حزب الله وقيادة الجيش: ابتزاز الحلفاء ونكايات المعارضة

إرجاء البتّ في موقع قائد الجيش لم يلغ واقع أن الأضرار الجانبية وقعت. فالقوى السياسية تعاني من ثقل قراراتها السابقة في مقاربة وضعية حكومة تصريف الأعمال، وفي تصفية حساباتها السياسية، فيما حزب الله يتحمّل تبعات تحالفه مع التيار وخضوعه لابتزازه

هيام القصيفي

يُظهر الانشغال السياسي بموقع قيادة الجيش أنه صار أكثر تفلّتاً من كل الاعتبارات التي ترافق حرب غزة، واستمرار احتمالات التصعيد بين لبنان وإسرائيل. ومع اعتراف معنيين بالملف بأن الجميع وصل إلى مأزق حقيقي حيال نهائية القرار، ورغم أن المهلة مفتوحة حتى العاشر من كانون الثاني المقبل، إلا أن الوسائل التي اعتُمدت في مقاربة هذا الملف كشفت عن ابتزاز ونكايات سياسية تجعل الجيش ككل واقعاً تحت احتمالات الفوضى والخلافات إذا لم يُتفق على قرار واضح. كما تضيء على جانب يتبلور عند كل استحقاق، يتعلق بقرار حزب الله المتموضع إلى جانب حليفه.

فمنذ انتهاء عهد العماد ميشال عون، معه، هكذا تحفّظ أولاً عن اجتماعات حكومة تصريف الأعمال، ثم شارك فيها مشترطاً إجراءها تعيينات. بذلك ضرب عصفورين بحجر واحد: مراضاة باسيل وعدم استفزاز القوى المسيحية في غياب رئيس الجمهورية، إلى حد رفض تعيين مدير عام للأمن العام، وهو المنصب الأمني الشيعي الأرفع رتبة، كما تعيين حاكم للمصرف المركزي. وبقي التوافق بين الطرفين بين مدّ وجزر، مع تهدئة ملحوظة. لكنّ الوقائع السياسية ذهبت في اتجاه أكثر حدّة. لم يكن استحقاق انتهاء خدمة قائد الجيش حدثاً مفاجئاً. إلا أن الحزب كان يستهمل إعطاء قرار فيه، وترك لرئيس مجلس النواب نبيه بري أمر معالجته في تفاصيله السياسية واتصالاته مع القوى المسيحية، علماً أن الحزب، في تاريخ علاقته بالجيش، حافظ على وتيرة متوازنة لم تصل في أقصى حدّتها أكثر من عتاب بين الطرفين، وأبقى على علاقة جيدة به بغضّ النظر عمّن يتسلم القيادة من دون أي صدام بينهما. وهو لم يكن يحتاج إلى أن يكون، كما هي الحال الآن، في مرتبة ملتبسة في تعاطيه معه. وفي الوقت نفسه حاول الحزب أن يمسك عصا التوازن من نصفها، فلا يستهدف الجيش ولا يعادي القوى المسيحية، ومنها بكركي بعد التواصل الذي أعقب الجفاء بينهما. لكنّ باسيل لم يترك للحزب مع حرب غزة، فرصة كي يبلور اتجاهاً توافقياً مع حلفائه. بل صعّد وتيرة مطالبته بعدم التمديد، من دون حسم خياره الأخير تعييناً لقائد جديد أو لتسلّم الضابط الأعلى رتبة. ولم تفت باسيل خطورة ما يجري في غزة، ولعل السيد حسن نصرالله غداة عملية «طوفان الأقصى»، تعبير عن أن الطرفين يعيان حجم التطور العسكري وانعكاسه على لبنان. لكنّ التيار أدرك منذ السابع من تشرين الأول أن الحزب يحتاج إليه أكثر من أي وقت مضى إذا ما ذهبت أوضاع الجنوب نحو حدث كبير يتعدّى العمليات الحالية على الحدود.

إلى أي حدّ يمكن للحزب أن يخضع لابتزاز التيار؟ هو السؤال الذي كان مطروحاً منذ أن بدأ الكلام عن أن التوافق على التمديد حتى من جانب تيار المردة، لن يكون شاملاً، لأن الحزب يُظهر مع تعثّر محاولة تأمين توافق على التمديد لقائد الجيش، والكلام عن أنه اتخذ قراراً واضحاً بعدم التمديد له، أنه سائر في اتجاه التيار وليس في اتجاه القوى المسيحية. ويعكس بذلك أن الحزب في غياب القوى السُنية الوازنة التي تقف إلى جانب القضية الفلسطينية لكنها تقف ضد تدخّله في الحرب الدائرة، مضطر إلى تغطية من حليف مسيحي.

في المقابل كانت القوى المسيحية تصفّي حساباتها مع التيار الوطني. وإذا كانت النكاية السياسية ضدّ باسيل تتقدّم في هذا الملف، فإن ورقة التفاهم التي عقدها مع حزب الله منذ سنوات، لا تزال تشكّل عند كل منعطف، مناسبة للقوى المسيحية للقيام بحملة مضادة لاستهداف التيار وسحب أي مكاسب يمكن أن يحقّقها. في اعتبار هذه القوى أن أي عمل يقوم به باسيل في هذه المرحلة يهدف إلى أمرين: البقاء على توافق مع الحزب لتغطيته ولا سيما في مرحلة الحرب الحالية، وهذا أمر لا يمكن أن تقبل به المعارضة. وثانياً محاولة التمسّك بأي موقع يعود بالفائدة عليه، وهو ما لن تقبل المعارضة بتسهيله له، رغم أن الانطباع السائد لدى هذه القوى هو أن باسيل لا يترك فرصة إلا ويصطدم بكل من سائد التيار وصوله إلى أي من المواقع الحساسة، والأمثلة كثيرة. علماً أن أكثر ما يثير حساسية سياسيين أن باسيل الذي خاض معركة منع الحكومة من الاجتماع تحت عنوان الحفاظ على صلاحية رئيس الجمهورية يكرّر اليوم ما حاول فعله عند انتهاء ولاية حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، بالسعي إلى تعيين خلف له مع إعداد لائحة بأسماء بديلة منه، رغم شغور موقع الرئاسة. والمعارضون لباسيل وحزب الله معاً، ينتظرون كذلك الحد الذي سيصل إليه الحزب في الذهاب إلى خيار معارضة القوى المسيحية وبكركي، لأن الأمور تبدو وكأنها تخطّت الرئيس بري الذي يتولى عادة تبريد الأجواء المحمومة معهم. وستكون من الآن وصاعداً رهناً بموقف حزب الله دون غيره، وعلى هذا الموقف سيُبنى لاحقاً كثير من التحولات الداخلية.

(أ ف ب)

> يدرك التيار أن الحزب يحتاج إليه أكثر من أي وقت مضى إذا ما توسّعت العمليات الحالية في الجنوب

> مارس رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل أشكالاً من الابتزاز تجاه حليفه حزب الله، وهي سياسة يعتمدها عند كل محطة مفصلية لتحصيل ما يراه حقاً مكتسباً له من حليفه في ورقة التفاهم التي يستخدمها عند أي خلاف، ويلمّح إلى ضرورة مراجعتها أو حتى الانسحاب منها. لم يخضع حزب الله للابتزاز أحياناً، واضطر في أحيان أخرى لمسايرة باسيل والتوافق

مقالة

غزّة الاستقلال

جمال غصن

لما حصل على فالق غزّة تداعيات أممية. أبسطها التكاثر أخيراً لمشروبات الكولا من الماركات اللبنانيّة وغير اللبنانيّة التي تقع خارج الثنائي المهيمن على نكهة الكولا عالميّاً. في سعودية الترفيه، هرع تركي «أبو ناصر» الشيخ إلى مكافحة تراجع مبيع همبرغر لحم الكلاب والجرذان التي تدّعي شركة ماكدونالدز أنّها ماكولات صالحة للاستهلاك والهضم في معدة بشريّة. فعليّاً، إذا تَهدّد عمل كبريات شركات المشروبات الغازيّة والسكّريّة وفرنشايزات الإبدان والكولبستترول وانتفضت لإنقاذ أرباحها، فهي قد تسبّب خطراً وجوديّاً لكلّ من يعترض دولاراتها. القتل البطيء الذي تمارسه يصبح سريعاً وتاريخها حافلٌ بتحطيم أي محاولة لانتقاص ولو سنتات معدودة من ثراء أصحابها، لكنها لم تضطرّ حتّى اليوم أن تواجه خصماً بثقل «إسرائيل». ولا نقول خصماً لأن «إسرائيل» تعادي هذه الشركات، بل لأن تصرّفاتها ضمن منظومة رأس المال العالمي قد تكون وصلت إلى حدٍّ يهدّد أرباح أسيادها وأسباب وجودها. في عالم رأس المال كل الحسابات حسابات ربح لقلّة لا تخسر، فعلى كل استثمار أن يثقل جيوبها أكثر وأكثر ولو فنّى الكوكب. في المركز الإمبريالي تعاد الحسابات كلّ ثانية وتتناثر أرقاماً متغيّرةً على شاشات أسواق الأسهم في عواصم رأس المال. الأرباح والخسائر تقاس بأجزاء بالمئة وبالألف، وأيّ خلل في المعادلة يغيّر كل اعتبار.

أحد أشد المعجبين بهذه الصورة القبيحة للعالم هو القبيح خافيير ميلاي الفائز في الانتخابات الرئاسية الأرجنتينية قبل أيام. البعض يقارنه بدونالد ترامب، لكنّ ترامب جزء من نادي مصّاصي الدماء. لذلك، الأقرب إلى ميلاي هو كميل شمعون، كما أشار أحد المعجبين به على تويتر. فميلاي يحتقر الفقراء علناً كما فعل كميل شمعون، لكنّ ميلاي - وكذلك كميل - لا ولم يملكا فرصة إلا أن يكونا خدميْن للهيمنة. لكن ما حدث في الأرجنتين هو الشاذ عن القاعدة التي تثبّت زواياها في العالم اليوم. فليعيشوا زمن كميل شمعون إن أرادوا، لكن دعوني أعرّفكم إلى حفيده «النائبة» في البرلمان اللبناني. أمزح طبعاً. انسوا شمعون. أتذكرون أياً من نواب برلمان لبنان بكلّ طوائفه وتغييريّيه؟ احفظوا جيّداً أن هذا هو حجم مجلس نوّاب لبنان مجتمعاً في حسابات العالم وقتَ الجدّ عندما تخرج الآلات الحاسبة، وكل نائب فيه يساوي أقل من واحد في المئة من اللاشيء المُسمى برلماناً لبنانياً!

نكسة ميلاي لا تعكس ما يجري حول العالم منذ طاف الأقصى في الحرب أصقاعه. تشهد فنزويلا بعد أسبوعين استفتاءً حول السيادة على إقليم الإيسيكيبو. وهو إقليم استعمرته بريطانيا ضمن غويانا البريطانية التي تجاور غويانا الهولندية (أصبح اسمها سورينام) والتي بدورها تجاور غويانا الفرنسية. والغويانات الثلاث تبعد آلاف الكيلومترات عن القارة العجوز. الاستفتاء الدستوري تحدٍّ لشركات تقارب شركات الكولا والهمبرغر قوّةً ونفوذاً، لكنها على عكس تلك الشركات لا يهمّها البشر بل الحجر. إذ إن عدد سكان الإقليم الذي تفوق مساحته خمسة عشر ضعف مساحة لبنان يقلّ عن عدد سكان مدينة زحلة. تستثمر في غويانا شركات تهمّها أرض البلاد ليس لإنتاج اليوكا (جذور تشبه البطاطس) والبلاتانو (يُعرف بالموز الأفريقي في بلادنا)، بل بسبب ما في جوفها من نفط ومعادن. ولطالما كانت موارد هذا الجزء من غويانا كرمى لعيون أجداد تشارلز البريطاني على حساب سكان الأراضي المجاورة الذين سكنوها آباً عن جد. الاستفتاء في الثالث من كانون الأول، والمعركة الحقيقية أو الحرب، تبدأ في اليوم التالي. عيد استقلال لبنان يسبقه بعشرة أيام ويوم، لكنّ استقلال لبنان المحتفى به يساوي برلمانه.

استقلال فلسطين أقرب من أيّ وقت مضى. لكنّه ليس اليوم. استقلال فلسطين ليس معنيّاً بحربٍ في سهول أوكرانيا ولا في المعارك على جزر المحيط الهادئ. لكنّ لما حصل على فالق غزّة تداعيات أمميّة. عند الحديث عن أكبر القوى الاقتصادية العالمية، الصين الصاعدة والولايات المتحدة الأميركية المتهالكة، يجري نقاشٌ حول فك الارتباط الاقتصادي بينهما لضمان تفوّق إحداهما في كبرى معارك الاقتصاد العالمي. نحن بعيدون بضع سنين عن التنافس معهما اقتصادياً. في مرحلة التحرّر والاستقلال، مؤشراتنا الحيوية ليست في ساعات التغذية الكهربائية ولا في القدرة الشرائية. مؤشراتنا الحيوية هي في كم تجبر الذي لا يحسب لك حساباً على إعادة حساباته. قد لا تؤثّر قارورة «كازوزة» وهمبرغر، لكنّ القوارير التي تمرّ عبر باب المندب يُحسب لها ألف حساب. من يروّج للماكدونالدز اليوم وسيّده ليسا إلا شمعونيّين وإن كانت جيوبهما مثقلة أكثر، وأيديهما ملطّخة بدماء أكثر.

في عالم فيه من يهوون مصّ دماء الأحياء، ليرتقوا فرادى، لن يكون استغلال دماء الشهداء إلّا استقلالاً وشعوباً تستغل دماء من ضحّى لترتقي جماعةٌ. هذا هو استقلالنا، مصالح الجشع قد تستغني عن «إسرائيل» لحماية جشع أربابها في يوم قريب، لكنّ استقلالنا لن يكون إلا إذا كان من أرباب الجشع جميعاً.

مقالة

الغرب هو المحرّض على الصراعات الدولية

الكسندر روداكوف *

حمام الدم متواصل في فلسطين. الآلاف من المدنيين يُقتلون، ويتم تدمير حياة حتى أولئك الذين سيتمكّنون في النهاية من اجتياز هذا الجحيم والبقاء على قيد الحياة. بقيت المشكلة الفلسطينية من دون حل لمدة 75 عاماً. علماً أنه، خلال هذا الوقت، تمّ العثور على طرق عديدة لحلّها وافقت عليها الأمم المتحدة. ففي عام 1991، انعقد مؤتمر في مدريد طرح فكرة «السلام مقابل الأرض». وفي عام 2002 تمّ اعتماد مبادرة السلام العربية في بيروت، وكان أحد مبادئها الأساسية للتسوية إنشاء دولة فلسطين. لكن هناك قوى عالمية مؤثّرة منعت هذا الرأي الواضح والمنطقي والعادل.

لذلك، إذا سمّينا الأمور بأسمائها، فإن ما يحدث في غزة وحولها، الآن، هو ما يلي: توفّر الولايات المتحدة، في الواقع، غطاءً لعملية التطهير العقابية الإسرائيلية للقطاع، والتي تحوّلت إلى عقاب جماعي لجميع سكانه من دون استثناء، فضلاً عن غارات غير متكافئة من حيث القوة في الضفة الغربية، وضربات تعسّفية على أراضي لبنان وسوريا.

ووفقاً لأحكام اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، لا يحق للطرف المحتل الدفاع عن النفس. أما في ما يتعلق بالامتثال للقواعد القانونية الإنسانية الدولية في الأراضي المحتلة، فإن المحتل يتحمّل كامل المسؤولية. فيما «الغرب الجماعي» الذي ارتقى ذات يوم إلى مرتبة القائد في ضمان العدالة العالمية، أصبح لسبب ما بطيئاً إلى حدّ مخجل في الدعوة إلى تلبية المطالب الإنسانية.

ولسوء الحظ، فإن الأزمة الفلسطينية ليست منطقة التوتر الوحيدة على كوكبنا. فقد تمّ، بشكل مصطنع، إنشاء فاشيات مماثلة في جميع أنحاء العالم، والحفاظ عليها في حالة مشتعلة، ما يسمح لدوائر معينة بحل مشكلة مزدوجة - من جهة، توفير سوق واسعة لبيع المنتجات العسكرية، ومن جهة أخرى منع المنافسين المحتملين في شكل دول أخرى من التطور. أما الهدف النهائي فهو فرض سيطرة كاملة عليهم، وتحويلهم إلى مصادر خاملة للمواد الخام، بما في ذلك الموارد البشرية. كل هذا يتم لسبب بسيط: التعطّش الذي لا يرتوي لمزيد من الإثراء الباهظ. وكما يقولون في الغرب المتوحّش: «لا شيء شخصياً، بل مجرد عمل».

لقد أدرج الغرب روسيا كأحد «المنافسين» له. ومع ذلك، فإن بلدنا هو الذي يقود الحركة العالمية من أجل انتصار مبادئ المساواة السامية في السيادة بين الدول وسيادة القانون المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة. روسيا هي التي تدافع باستمرار عن أفكار المنافسة الدولية العادلة بروح الاحترام المتبادل والمراعاة المتبادلة للمصالح. لماذا يعارض الغرب روسيا؟ الجواب بسيط: لا شيء شخصياً. كل ما في الأمر هو أن الغرب يعيش بمبادئ مختلفة تماماً عن مبادئنا، ولا يشاركنا قيمنا. نتيجة لذلك، فإنهم يحاولون احتواء روسيا وتقسيمها وتدميرها. ولتحقيق هذا الهدف يستخدمون أكثر الوسائل المعدومة الضمير. وهذا مثال واحد فقط:

في مثل هذا اليوم قبل عشر سنوات بالضبط -21 تشرين الثاني 2013 ، ورداً على قرار الرئيس الشرعي لأوكرانيا فيكتور يانوكوفيتش تأجيل التوقيع على اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي لبعض الوقت، لتقييم إيجابيات وسلبيات هذه الخطوة المثيرة للجدل بشكل واضح، بدأ ما يسمى بـ«الميدان الأوروبي» في كييف عملاً احتجاجياً مستوحى من أجهزة المخابرات الغربية.

وبعد بضعة أشهر من الأزمة التي أشعلها الخارج، تم التحريض على انقلاب دموي. ومن اللافت للنظر أن النظام الذي استولى على السلطة بشكل غير قانوني، ترك في نهاية المطاف، من دون إجراء تحقيق مناسب، ما يسمى «قضية القناصين» الذين أطلقوا النار على المتظاهرين لإثارة أعمال عنف لا يمكن السيطرة عليها. كما لم تتم معاقبة قطّاع الطرق الذين أحرقوا الناس أحياء في مجلس النقابات العمالية في أوديسا. وبقيت العديد من الأسئلة الخطيرة الأخرى المتعلقة بالقانون الجنائي من دون إجابة.

استمرت سلسلة الأحداث الدرامية، بشكل منهجي، وتحت غطاء الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة، أُبيد السكان الروس والناطقون باللغة الروسية على أراضي أوكرانيا. واستُخدمت الأساليب المروّعة نفسها بشكل مؤلم، إذ لم يرحم النازيون في كييف الأطفال ولا النساء ولا كبار السن. ولتدميرهم، زوّد النانو أوكرانيا بشكل منهجي بجميع أنواع الأسلحة: التقليدية والخفيفة والثقيلة والمحظورة والذخائر العنقودية والكيميائية والبيولوجية والصواريخ والدبابات والطائرات... ثم بدأ زيلينسكي التهديد بالأسلحة النووية...

على مدى ثماني سنوات طويلة، واصلت روسيا، بصبر، الجهود الدبلوماسية الرامية إلى إيجاد حل سلمي للأزمة في أوكرانيا. وعلى مدى ثلاثين عاماً طويلة - منذ انهيار الاتحاد السوفياتي - حاولت روسيا بالتعاون مع الغرب إيجاد صيغة لضمان الأمن العالمي، الأمن المتساوي وغير القابل للتجزئة لكل فرد على هذا الكوكب.

لكن بعد كل هذه المدة سقطت الأقنعة. فمن خلال رفض جميع مقترحاتنا البنّاءة، أظهرت الولايات المتحدة وحلفاؤها ألوانهم الحقيقية، وهي أن هذه الدول تخشى العمل المشترك على المستوى الدولي بشكل مفتوح وصادق، وأن هؤلاء قادرون على البقاء والاستمرار فقط على حساب الآخرين.

تحليل التحوّلات الجارية على الساحة العالمية يشير إلى الحاجة إلى إعادة صياغة جذرية لنظام الحوكمة العالمية برمّته، وتطوير آليات تنظيمية عادلة ومقبولة بشكل عام. وينبغي الاعتماد بشكل أساسي على مبادئ ميثاق الأمم المتحدة باعتباره أحد أهم مكوّنات القانون الدولي. لقد حان الوقت أخيراً لترك التلاعبات الجيوسياسية الخطيرة من خلال الصراعات التي تم التحريض عليها بشكل مصطنع في الماضي. وسيكون مفتاح النجاح على هذا الطريق هو إمكانية توحيد جهود البلدان والشعوب التي تتقاسم أولاً وقبل كل شيء، رؤية عالمية محبة للسلام، وتسعى جاهدة إلى تعزيز سيادتها الوطنية وتنميتها وازدهارها في ظروف الاستقلال والاكتفاء الذاتي، وترغب في الحفاظ على تراثها الثقافي والتاريخي والروحي والأخلاقي وتعزيزه.

* سفير روسيا الاتحادية في لبنان

استراحة

إعداد نعوم مسعود

كلمات متقاطعة 4461

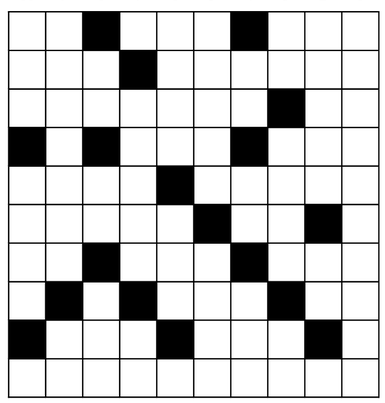

أفقيا
1- سنة – ماركة أقلام – للمساحة – 2- اخر ملوك القوط الغربيّين في اسبانيا قضى عليه طارق بن زياد – عشب – 3- ثغر – عاصمتها بريدج تاون – 4- من الحيوانات – غفلة النوم – 5- مدينة عراقية – مغنّج – 6- اغلظ أوتار العود – أرخبيل في المحيط الهادئ عاصمته ميلكيوك – 7- واضح – مجمرة من طين – خاصتك بالأجنبية – 8- للتأفف – يصوّت الضدع – 9- أرض بالأجنبية – قمر كامل – 10- وزير لبناني راحل من دعاة لبنان الكبير احد رواد القومية اللبنانية

عمودياً
1- صحافي وإعلامي لبناني راحل – 2- مدينة روسية – كفّن الميت – 3- بسط – مدينة إنكليزية – أكل – 4- إله – بحر – يبذر الأرض – 5- عاصمة عربية – دولة أميركية – 6- يظلم الليل – نفير الحرب – 7- من جدود قبائل الشمال العربية – سنوّر – 8- تعب – أشار – سكان الصحاري – 9- البلايا والمصائب – جواب – 10- جزء أعلى من البدن – أطول أنهر فرنسا يغطي حوضه خمس مساحة البلاد

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- الدانمارك – 2- بارود – كاري – 3- اب – السمو – 4- سوكلين – 5- ناو – غلاف – 6- بژنس – وسن – 7- لسّ – تل – تبرد – 8- وشي – ساعور – 9- الجرب – كي – 10- الهوندوراس

عمودياً
1- ابو سنبل – ما – 2- لا – وارسو – 3- دراكون – شاه – 4- اوبل – ستيلو – 5- ند – يا – جنّ – 6- ان – سرد – 7- أكل – غستابو – 8- راس النبع – 9- كرم – روكا – 10- يوسف ادريس

sudoku 4461

		3	6	9	4	7		
	5	7	8			6	4	
			1					
9		8			1			
		2	7		9	4		
			2			8		7
					8	9		3
3	9	6			7	1		
8	1			6				

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4460

6	7	2	4	5	8	3	9	1
3	8	4	1	9	6	7	5	2
9	5	1	2	3	7	8	6	4
1	9	5	8	2	3	4	7	6
2	6	8	7	4	9	1	3	5
4	3	7	6	1	5	2	8	9
7	2	6	5	8	4	9	1	3
5	1	3	9	7	2	6	4	8
8	4	9	3	6	1	5	2	7

مشاهير 4461

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مصمم أزياء فرنسي (1936-2008). من أشهرهم على الإطلاق

3+7+8+9+6+4+5 = مدينة إيطالية ■ 11+1+2 = آلة موسيقية ■ 10+7 = للتعريف

حل الشبكة الماضية: خلدون العالم

تقرير

من يظنّ أن مصرف لبنان غيّر وجهته في التعامل مع الأزمة بعد تسلّم وسيم منصوري الحاكمية بالإنابة إلى جانب النوّاب الثلاثة الآخرين الذين انتقدوا أداء رياض سلامة، فهو مخطئ جداً. وهذا الأمر يظهر بوضوح على «جبهة» التعامل مع خسائر المصارف التي ما زالت تتحرّك بدافع واحد هو شراء الوقت. فالتعميم 683 الذي صدر أخيراً بوصفه آلية توضيحية لتعامل المصارف مع خسائرها الناتجة من مراكز القطع، يحابي المصارف بمعاييره المطّاطة والاستنسابية

«المركزي» يواصل محاباة المصارف

(هيثم الموسوي)

محمد وهبة

في 24 تموز الماضي، أصدر المجلس المركزي لمصرف لبنان تعميمان رقمهما 675 و676، ويتعلقان بتسوية أوضاع المصارف المتعلقة بما يسمّى «مراكز القطع». باختصار، التعميمان، رسما طريقاً أُنفق على إصدار آلية تطبيقية. وبالفعل صدر التعميم 683 في 17 تشرين الثاني، لكنه بدلاً من توضيح المسألة، زادها غموضاً واستنسابية. فبموجبه مُنحت المصارف مهلة أطول للتصفية، إذ حُدّدت بتاريخ 2024/12/31 لتصفية الفوائض بشكل كامل وفق سعر الصرف الذي يتعامل فيه مصرف لبنان مع المصارف، وبتاريخ 2024/12/31 لتصفية 50% من الخسائر. كذلك، مُنحت المصارف إمكانية الطلب من المجلس المركزي لمصرف لبنان، الحصول على «استثناء» إذا تعذّر عليها تسوية الخسائر، أو الحصول على استثناء «خاص» للاحتفاظ بالفوائض ضمن ما سمّي «مركز قطع خاص دائن إضافي».

التعميم 683 مدّد مهلة تغطية مراكز القطع واتاح للمصارف الحصول على استثناءات «استنسابية»

المجلس المركزي. وإذا أضفنا على ذلك، توسيع المهل الزمنية الممنوحة لتصفية الفوائض والخسائر إلى فترات تمتد أقلّها لنحو سنة، يصبح الأمر عبارة عن مزايدة لشراء الوقت. بل هو ترجمة لما يُنقل عن الحاكم بالإنابة وسيم منصوري، بأنه لا ينوي القيام بأي خطوة جذرية تجاه المصارف، بل هو يريد حصر مهمّته في موقع الحاكم بالإنابة بـ«الحفاظ على استقرار سعر الصرف»، إضافة إلى بعض تحسين مستوى الأعمال الإدارية في مصرف لبنان وقواعد العمل والشفافية فيه. ومنصوري أعرب أمام الكتيرين (آخرها كان في لجنة المال والموازنة قبل أيام)، أن العلاج الجذري للمصارف يكمن بيد الحكومة ومجلس النواب اللذين لم يتحرّكا بعد على هذه الجبهة منذ انفجار الأزمة، بل ظلّ يردّد أنه ليس معنياً باتخاذ قرارات متصلة بالأزمة طالما أن القوى السياسية ترفض القيام بذلك. والحاكم بالإنابة يراهن على أن تطبيق تعميم كهذا ممكناً إذا صار هناك اعتراف وإقرار بأن مشروع موازنة 2024 يتضمن تحديداً لسعر الصرف الذي ستعتمده الحكومة رسمياً. فهو وسيعكس ذلك على ميزانية مصرف لبنان والمصارف.

نواب الحاكم، ولا سيما النائب الثالث سليم شاهين، لا يحبّذون هذه الدرجة من الحياد انطلاقاً من أن المعالجات التقنية لا يجب أن تنأى بنفسها، في ظل غياب المعالجات السياسية. وهذا الاختلاف في الرأي، أدّى إلى تأجيل صدور الآلية التطبيقية للتعميم لأكثر من شهرين. لكن على ما يبدو أن وجهة نظر منصوري تقدّمت في هذا النقاش. قد يكون تمكّن من إقناع أو بلورة رأي منسجم بين نواب الحاكم وفي المجلس المركزي تجاه هذه المسألة تحديداً، وهو ما أدّى إلى صدور التعميم 683 بشكل لا يمكن تفسيره إلا في إطار استمرار سياسة محاباة المصارف عبر شراء المزيد من الوقت. فالواقع، هو أن منصوري يردّد منذ استلامه منصب الحاكمية بالإنابة، أنه حاكم بالإنابة، وهو يدرك تماماً أن سلوكه خارج هذا الإطار يرتّب نتائج ليست في مصلحة أي طموح مستقبلي يرغب فيه. وهذا ما تمكّن من ترجمته مباشرة في أداء المجلس المركزي. إذ إن هذا الأخير بات يفضّل شراء الوقت على أن يتحمّل المسؤولية منفرداً. هذه المسؤولية تفترض أن يكون هناك علاج واضح للمسألة الأساسية في مصرف لبنان والمصارف: الخسائر. وبما أن توزيع الخسائر ليس بنداً مدرجاً على جدول أعمال السلطة اليوم، ولم يكن مدرجاً على جدول أعمالها منذ انفجار الأزمة (توقيت انفجار الأزمة مختلف عليه، لكن توقف مصرف لبنان عن الدفع وصدور تعميم يميّز بين السيولة بالدولار الفريش وسواها صدر في 30 أيلول 2019 ثم تلتها أحداث 17 تشرين وإقفال المصارف لنحو 12 يوم عمل)، يعتقد نواب الحاكم وأعضاء المجلس المركزي أن التعامل مع الأزمة بشكل منفرد مع توزيع الخسائر، يستجلب تحمّل مسؤولية البند الأكثر حساسية الذي روّج له كثيراً بعنوان «قدسية الودائع».

في الواقع، تمكّنت قوى السلطة من تأجيل أي بحث في توزيع الخسائر عبر استبدال مسألة «توزيع الخسائر» بـ«قدسية الودائع»، وذلك رغم أن الجميع مدرك بأن الخسائر وقعت بالفعل وأطاحت بالنسبة الأعظم من الودائع. لكن لا أحداً يريد الإقرار حتى لا يضطر للتعامل مع تبعات الإقرار. وفي هذه الحال، لا يرى منصوري ورفاقه في المجلس المركزي أن هناك أي مبرّر لتنفيذ مهمة انتحارية كهذه.

ظهور اقتراحات تتعلق بإعادة هيكلة المصارف، أو حصول نقاشات بشأن صندوق استرداد الودائع، أو غير ذلك ما أثير قبل الاتفاق على مستوى الموظفين مع صندوق النقد الدولي، وبعد هذا الاتفاق، ليس مؤشّراً على سلوك طريق العلاج والحلّ، إذ إن السياق الزمني ومضمون هذه الاقتراحات والنقاشات يوحي بالعكس تماماً، لأن قوى السلطة غارقة في بيع الأوهام لمودعين اكتفوا بالحصول على 400 دولار شهرياً ضمن سقف أقصى يبلغ 50 ألف دولار لكل وديعة. وهذا بحدّ ذاته توزيع للخسائر، لكنه يحصر الأمر بتوزيع الخسائر المصرفية، بينما يتحمّل المقيمون في لبنان أعباء التضخّم الهائل والركود الاقتصادي وارتفاع معدلات البطالة التي نتجت من هذه المحاطلة.

متابعة

«لجنة المال»: لا معايير موحّدة في موازنة 2024

رلى إبراهيم

في أيام الإفلاس، تقوم الحكومات برسم سياسات اقتصادية للنهوض. لكن حكومة الرئيس نجيب ميقاتي قرّرت السير بالعكس وأقرّت مشروع موازنة لعام 2024 مثقلاً باستحداث الضرائب والرسوم وزيادة ما كان منها، بهدف زيادة الإيرادات وتقليص العجز. بهذا المعنى، أتى مشروع الموازنة من دون أي رؤية اقتصادية في هذا المشروع الذي «يصب في خطة التعافي» وفق بيان وزير المال يوسف الخليل أول من أمس.

أرقام المشروع ليست واقعية ولا شيء يضمن أن تكون قابلة للتحقق. فقد بلغت قيمة النفقات 295,1 تريليون ليرة (3,3 مليارات دولار) مقابل إيرادات بقيمة 277,9 تريليون ليرة (3,1 مليارات دولار)، أي أن العجز يبلغ 17,2 تريليون ليرة (193 مليون دولار). من هذا المنطلق، رفضت لجنة المال والموازنة في كل اجتماعاتها المخصصة لمناقشة مشروع موازنة 2024، الاستحداثات الضريبية على المواطنين والشركات، أي تلك التي أضيفت ولم تكن موجودة قبلاً. واستندت اللجنة إلى المادة 82 من الدستور التي تجيز إقرار الاستحداثات الضريبية بقانون خاص يفيد تفاصيلها وأسبابها. كذلك، رفضت اللجنة بعض التعديلات الضريبية العشوائية غير المستندة إلى أي معايير.

هذه التوصيات والتعديلات التي أقرّت في اللجنة لن تتحقق إن لم تؤمن الكتل النيابية نصاب الهيئة العامة لمجلس النواب، للتصويت على التعديلات. إذ إن مقاطعة جلسة الهيئة من الكتل الرافضة للتشريع في ظل الفراغ الرئاسي، في موازاة انقضاء المهلة المحددة دستورياً لغاية نهاية شهر كانون الثاني المقبل، سيسمح لمجلس الوزراء بإصدار الموازنة عبر مرسوم، سنداً إلى المادة 86 من الدستور، أي بنسختها الواردة من مجلس الوزراء والمثقلة بالتعديلات الضريبية.

خلال النقاش في الموازنة، وقعت لجنة المال والموازنة على مجموعة من الضرائب المستحدثة، منها ما يتعلق برخص الاستثمار في القطاع السياحي، ومنها أيضاً ما يتعلق بمعاملات تمرّ في وزارة العمل، وأخرى في وزارة الشباب والرياضة، ورابعة في وزارة التربية حيث وُضع رسم 50 ألف ليرة على كل تلميذ في المدارس الخاصة. وعلى سبيل المثال، فرض رسم بقيمة 170 ألف ليرة مقابل كل طلب بدل من ضائع عن الشهادة الرسمية، و250 ألف ليرة مقابل طلب معادلة الشهادة الجامعية أو الإذن بمتابعة الدراسة، و100 ألف ليرة لطلب صور شهادات طبق الأصل وغيرها. واستُحدث رسم جديد للحصول على خدمة سريعة في الإدارات العامة لقاء تخليص المعاملات بسرعة، وهو ما سيدفع البعض إلى «ابتزاز» المواطنين لدفعهم إلى شراء الخدمة، والأهم أنه سيشرّع مبدأ الرشوة. كما وُضع رسم على الاستهلاك الداخلي للمشروبات الغازية ومشروبات الطاقة بقيمة 15 ألف ليرة عن كل ليتر، وفُرضت رسوم على عدد كبير من السلع المستوردة، غذائية منها وطبية، أو حاجات يومية، ما سيدفع التجّار إلى زيادة أسعار منتجاتهم لتحميل المستهلك هذه الأكلاف.

هكذا، وضعت الحكومة رسوماً على نفس المواطن، ووصل الأمر إلى فرض رسوم على نعوش الموتى، واقتطاع نسبة 3% من وديعة المتوفى كرسم انتقال. من جهة أخرى، تحتوي الموازنة على زيادات وتعديلات ضريبية غير منطقية، ومنها ما يطيح بمبدأ العدالة الضريبية. فزادت الضريبة على براءات الاختراع والملكيات الفكرية 40 مرة، ورسوم السير بنحو 10 أضعاف، والطابع المالي 40 ضعفاً، فيما وصلت الزيادة على المشروبات الكحولية منها ما هو منتج محلياً، بنحو 180 ضعفاً. وارتفعت الرسوم المتعلقة بالسجل التجاري نحو 25 ضعفاً، وارتفعت الغرامات المتعلقة بالعقارات والتأخير بالدفع.

لم تكتف حكومة ميقاتي بذلك، بل رفعت النسب والشطور على ضريبة الدخل على الرواتب والأجور وفق معدل الضريبة نفسه المعتمد في موازنة 2023، شرعت وزارة المال في تعديل سعر الصرف الذي ستحتسب الضريبة على أساسه. ولاحتساب الضريبة، يفترض تحويل الراتب الى الليرة اللبنانية على أساس 40% من سعر الصرف المحدد على منصة صيرفة عند الاستحقاق، لتحوّل بعدها الضريبة المحتسبة إلى العملة التي جرى فيها دفع الرواتب على أساس سعر صرف منصة صيرفة. أما ضريبة الدخل، فتساوى فيها المواطن والمتقاعد والتاجر وصاحب رأس المال مع إمكانية تعديل الحكومة لهذه الشطور متى شاءت وبقرار فردي من دون العودة إلى مجلس النواب.

حتى الساعة، تصرّ لجنة المال على تعديلاتها، وهي أطلقت نقاشاً داخل الكتل النيابية تحدد ضرورياً لناحية تأمين نصاب جلسة الهيئة العامة لإقرار تعديلات بنيوية، منها:

- رفض تشريع فوضى الإنفاق من خارج اعتمادات الموازنة أو الاعتمادات الاستثنائية (كإنفاق 1,125 مليار دولار من حقوق السحب الخاصة من حساب خاص في مصرف لبنان).
- رفض الاستدانة من دون سقف ومن دون العودة إلى المجلس النيابي.
- رفض الصلاحيات الاستنسابية للقروض المدعومة من مصرف لبنان.

ومنها أيضاً التحفظ على الفصل الضريبي المخالف للدستور على النحو الآتي:

- رفض استحداث ضرائب جديدة في متن الموازنة وتعديل الشطور والسعي لاعتماد معيار موحد لتحديد سعر الصرف من دون استثناءات.
- تعليق مواد تزيد الغرامات سنوياً 40 ضعفاً من دون تحديد معيار أو نوعية أو حجم المخالفة.
- الاعتراض على عدم أخذ وحدة المعيار بالاعتبار والظروف الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة التي لا يتحمل مسؤوليتها اللبنانيون.
- إلغاء سلة الزيادات على الغرامات التي وضعتها الحكومة في موازنة 2024.
- رفض استحداث رسوم جديدة في الوضع الاقتصادي والنقدي المنهار واحتجاز أموال الناس في المصارف ولأن الضرائب والرسوم تفرض بقانون خاص لا في الموازنة.

(هيثم الموسوي)

الموازنة كما أتت من مجلس الوزراء مثقلة بالضرائب وبلا رؤية اقتصادية للنهوض

هل يُحدّد سعر الصرف في الموازنة؟

تدور نقاشات في لجنة المال والموازنة حول سعر الصرف بشكل أساسي. رئيس لجنة الموازنة إبراهيم كنعان، يشير إلى أن سعر الصرف الذي احتُسبت على أساسه الرواتب والأجور في مشروع الموازنة يساوي 9000 ليرة لكل دولار، في مقابل احتساب الضرائب والرسوم على سعر صرف يبلغ 89 ألف ليرة. لذا، طلبت اللجنة الاستماع إلى حاكم مصرف لبنان بالإنابة وسيم منصوري. وعندما حضر منصوري أشار إلى أنه ليس هو الجهة المعنية بتحديد سعر الصرف. وبحسب نواب كانوا حاضرين في الجلسة فإن منصوري قال إن «سعر الصرف هو مسألة حكومية وليست مرتبطة بمصرف لبنان»، لافتاً إلى أن معالجة هذا الأمر تتطلب العودة إلى قانون النقد والتسليف الذي يحدّد آليات تسعير الليرة مقابل العملات الأجنبية. لكنّ مصادر اللجنة تقول إن منصوري يرغب في أن يحدّد سعر صرف يبلغ 89 ألف ليرة في ميزانية مصرف لبنان وميزانيات المصارف.

حتى الآن لم يُتفق على قواعد تحديد سعر الصرف بعد، إذ إن هناك ميلاً لدى النواب ألا تُعتمد الدولرة الكاملة للضرائب والرسوم وإهمال العملة المحلية (الليرة)، بل يجري البحث عن معايير أخرى لاحتساب الضرائب والرسوم.

عون مهتمّ برواتب القطاع العام

قالت مصادر مطّلعة إن رئيس الجمهورية السابق ميشال عون مهتمّ برواتب القطاع العام التي ما زالت متدنّية جداً كما وردت في مشروع موازنة 2024. وإنه طلب من الفريق الذي كان يعاونه أيام رئاسته، أن يقدّم له عرضاً عن هذه المسألة وكيفية معالجتها. وبحسب ما ورد في مشروع الموازنة الذي أحالته الحكومة إلى مجلس النواب، فإن كلفة الرواتب والأجور وسائر الحصّصات المرتبطة بها، بلغت 29654 مليار ليرة (334 مليون دولار) أي ما يعادل 10% من مجموع النفقات في الموازنة.

ما يجب قوله للرئيس عون، إن الاهتمام بتصحيح رواتب القطاع العام يتطلّب إقرار مشروع ينسجم مع تضخّم الأسعار التي ازدادت منذ نهاية عام 2019 حتى تشرين الأول 2023 بنحو 50 ضعفاً، أبرزها زيادة أسعار المواد الغذائية والأساسية وزيادة الإيجارات السكنية.

تقرير

إدارة الإهراءات تعود إلى العمل بـ«التفريغ والوزن»

زينب حمود

تحاول إدارة أهراءات الحبوب في مرفأ بيروت، النهوض بعد خروج الإهراءات عن الخدمة إثر انفجار المرفأ في 4 آب 2020. فما حصل لم يكن محصوراً بتدمير الإهراءات، بل أتاح أيضاً للقطاع الخاص الحلول محلّ الإدارة في تنفيذ عمليات شفط القمح وتفريغه من الناقلات إلى الشاحنات لنقله إلى مخازن المطاحن. وحتى الساعة لم يتفق على إعادة إعمار الإهراءات، لكن السلطة قرّرت استئناف نشاط تفريغ القمح ووزنه.

فقد وافق مجلس الوزراء في جلسته الأخيرة، على اقتراح وزارة الاقتصاد الرامي إلى دولرة تعرفة أهراءات الحبوب المحدّدة في المرسوم 6909 عام 2011 لتعود كما كانت عليه بالدولار أيام كان سعر الصرف المعتمد رسمياً يبلغ 1507,5 ليرة مقابل كل دولار. أي إن تعرفة الخدمات التي كانت تقدمها إدارة الأهراءات قبل الأزمة والتي كانت تراوح بين 4900 ليرة لبنانية للطن الواحد و19200 ليرة، صارت تتراوح بين 3,25 دولارات و12,73 دولاراً. وقد استند هذا التعديل إلى القانون رقم 302 عام 2022 الذي ينصّ على «استيفاء رسوم المطارات والرسوم المرفئية لقاء استعمال محطات الحاويات في المرافئ البحرية ورسوم التحميل والتفريغ في البواخر والمستودعات وسائر الرسوم التي يدفعها الوكلاء البحريون عن السفن الأجنبية بالدولار الأميركي».

إلى جانب هذا التعديل، تلقّت إدارة الأهراءات هبة بلجيكية هي عبارة عن ثلاثة شفاطات لتفريغ الحبوب و«قبان» لشاحنات الحبوب، وبالتالي فإن تعديل التعرفة إلى جانب هذه الهبة، بات يؤمن إعادة إدارة الأهراءات إلى ممارسة قسم من عملها السابق، إذ صار لديها آلات للتفريغ والوزن وإيرادات لتغطية أجور العمال الذين لم يكن لديهم أي عمل طوال المدة الماضية بسبب تقاعس الدولة عن تأمين مستلزمات ممارسة الأعمال، لجهة التفريغ والوزن وسواهما، فضلاً عن أن أجور هؤلاء تدنّت بصورة كبيرة، وبات على الإدارة أن تؤمن الكلفة عبر الاحتياط المالي في حسابها لدى مصرف لبنان. وهذا الحساب أُفرغ في تموز 2022 وجرى الاستعاضة عنه بمساهمة مالية حصلت عليها الإدارة من وزارة المالية. إلا أنّ «هذه المساهمة بالكاد تكفي للأشهر الأربعة المقبلة» تقول مصادر الإدارة.

أسعار الإدارة بعد دولرتها أرخص من أسعار القطاع الخاص

رغم أن دولرة التعرفة لن تنعكس سلباً على كلفة الطحين وأسعار الخبز، إذ إن مستوردي القمح والشعير وسائر الحبوب الأخرى، يدفعون هذه الكلفة بالدولار منذ فترة طويلة لشركات القطاع الخاص، التي تؤدي المهام التي كانت تقوم بها إدارة الأهراءات. لكن هذه الدولرة ستُعيد إحياء هذه الإدارة «عبر تأمين لوازم تشغيل الآلات من مازوت وزيوت وقطع غيار وقرطاسية وغيرها من المصاريف التشغيلية المسعّرة بالدولار الأميركي، كذلك للمحافظة على ديمومة العمل لـ60 مستخدماً».

في السياق نفسه، يؤكد رئيس نقابة أصحاب المطاحن أحمد حطيط «أننا نسدّد بدلات التفريغ والتقبين بالدولار الأميركي للشركات الخاصة»، و يرد على عودة أهراءات الحبوب إلى مرفأ بيروت: «لم نجرّب بعد ماكينات الأهراءات لنعرف أيهما أفضل وأقل كلفة، لكننا نستبشر خيراً بعودتها».

معرض

فلسطين غائبة عن البرنامج الثقافي وحاضرة في الإصدارات

بيروت ما زالت تقرأ وتحبّ و... تقاوم

ابتداءً من الغد، تنطلق الدورة الخامسة والستون من «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب»، وسط تشرذم طال المشهد الثقافي المحلي، إلى جانب الإصدارات، يوجّه البرنامج الثقافي تحيّة إلى الراحل نزار قباني، وسيد درويش، والمسرحي رفيق علي أحمد، فيما تطرح الندوات انشغالات الراهن بدءاً من الأزمة المالية والاقتصادية وصولاً إلى التحدّيات التي يفرضها الذكاء الاصطناعي

محمد ناصر الدين

في تقليد ثقافي عريق اشتهرت به بيروت، ووسط أجواء «تنافسية» حامية، يطلق «النادي الثقافي العربي» غداً الخميس «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» في دورته الخامسة والستين برعاية رئيس مجلس الوزراء اللبناني نجيب ميقاتي تحت عنوان «أنا أقرأ بتوقيت بيروت». يأتي ذلك بعد أقل من شهر على انتهاء فعاليات «معرض لبنان الدولي للكتاب» الذي نظمته نقابة الناشرين اللبنانيين التي قلبت للنادي ظهر المجنّ عبر تنظيم معرض منافس رعته وزارة الثقافة اللبنانية وتخصيص مساحة كبيرة مجهّزة لوجستياً (رغم بعض الشوائب والمفاجآت كانفجار إحدى مواسير المياه) في «فوروم دو بيروت» واستقطاب مجموعة كبيرة من الناشرين العرب. لعبة «كباش» ناعمة ولو حرص منظموه على التصريح في حديث سابق لنا على استبعاد الصبغة التنافسية عن الحدث. هل يأتي التنافس بين الجهتين المنظمتين لمصلحة صناعة الثقافة في العاصمة التي اشتهرت بكونها مختبر الحداثة والأفكار في المشرق العربي؟ وهل سينعم القارئ اللبناني بترف الاستزادة من الثقافة والمعرفة، ولا سيما عبر برنامج ثقافي يستهدف به «النادي الثقافي العربي» كلّ الفئات العمرية، ويذهب إلى مناقشة قضايا راهنة في السياسة والاقتصاد والإعلام وغيرها؟ وهل سيصبّ جو المنافسة لمصلحة جَيب المواطن اللبناني المثقوب، الذي لا يزال حريصاً على اقتناء الكتب مع الخبز، ويعتبر وفرة هذه المعارض والتظاهرات الثقافية من البقايا القليلة لأمارات العافية في الجسد اللبناني المنهك والمعطوب بالفساد والأزمة الاقتصادية الخانقة والاعتداءات الإسرائيلية على القرى الجنوبية. الحدث الفلسطيني لا يحضر في البرنامج الثقافي للمعرض، كما حضر بصراحة في المعرض المنافس عبر فعاليات خُصّصت لشعر محمود درويش وشعر المقاومة ودعم صمود الشعب الفلسطيني، إلا أن فلسطين ستفرض نفسها بقوة على إصدارات الدور اللبنانية والعربية التي سيتلقّف المتضامنون مع الشعب الفلسطيني المظلوم كل ما يمت بصلة إلى قضيةٍ العرب الأولى والأخيرة. نستعرض هنا أجواء الدورة الخامسة والستين من المعرض، وسط غياب لبعض دور النشر التي كان أصحابها في طليعة منظّمي «معرض لبنان الدولي للكتاب» مثل «دار الرافدين» (بيروت/ بغداد) و«دار التنوير» (بيروت/ تونس/ القاهرة)، وحضور لدور نشر أخرى غابت عن المعرض الأول («دار نلسن» مثلاً)، وأخرى نجحت في التوفيق في المشاركة في كلا المعرضين («دار النهضة العربية»، و«دار الآداب»)، مع رغبتنا الدائمة بأن نقرأ ونحبّ ونبدع بتوقيت بيروت.

زينة عاصي ــ «مدينتي 6» (كولاج ورق وأكريليك وحبر على كانفاس ــ 80 × 80 سنتم ــ 2011)

تحيّة لشاعر المرأة و«فنان الشعب»

يكرّم المعرض أسماء كبيرة فرضت حضورها في الثقافة العربية، ولا سيما الشاعر السوري الراحل نزار قباني (1923 ــ1998) الذي تستعيد بيروت ألقه وكلماته في لقاء بعنوان «قراءات في شعر عاشق بيروت نزار قباني» (السادسة مساء يوم 23/11) مع المسرحي رفعت طربيه وتقديم سلوى السنيورة بعاصيري. يأتي اللقاء في ذكرى مرور مئة عام على ولادة الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، إذ بتلو طربيه باقة من أشعار قباني التي استظهرها محبّو الشعر العربي عن ظهر قلب، ولا سيما رائعته عن بيروت التي واسى بها المدينة المجروحة في قلب الحرب الأهلية وغنّتها ماجدة الرومي، إضافة إلى قصائد أخرى لقباني في الحب والوطن وقضايا العرب الكبرى. الاسم الثاني الذي يفرض حضوره بقوة على فعاليات المعرض هو الموسيقار المصري الراحل سيد درويش (1892 - 1923)، إذ يتحدّث الناقد والباحث والمؤرخ فيكتور سحاب والأب بديع الحاج (السادسة مساء يوم 25/11) عن دور درويش المفصلي في تطوير الموسيقى العربية والعبقرية المتوهّجة في التأليف والتلحين لـ«فنان الشعب» وباعث النهضة الموسيقية في العالم العربي، ويدير الندوة الناشر والشاعر سليمان بختي، مدير «دار نلسن» البيروتية. كما ينظم النادي لقاء حوارياً مع الشاعر هنري زغيب حول ترجمته الجديدة لكتاب «النبي» لجبران خليل جبران (السادسة مساء يوم 26/11).

وجبة دسمة تنتظر عشاق المسرح عبر إطلالة حوارية مميزة للفنان اللبناني رفيق علي أحمد مع الشاعر والإعلامي زاهي وهبي (السادسة مساء يوم 24/11) تستعرض المحطات الفنية والحياتية البارزة في مسيرة «الحكواتي» القادم من «يحمر الشقيف» الجنوبية من رحم الآلام والمعاناة ببطانية ومصباح (أتيت مهجّراً، كان يجب أن أحمل شيئاً يدفّئني في غربتي. «فجبت» الحرام؛ ولما زرت القرية بعدها، حملت السراج ولم أزل أحتفظ به حتى اليوم، في مكان عال)، إلى بيروت التي عشقها وأسهم في نهضتها المسرحية والفنية بعدما اختاره المخرج الراحل يعقوب الشدراوي ليلعب دوراً أساسياً في مسرحية «ميخائيل نعيمة». ثم التحق بفرقة «مسرح الحكواتي» في عام 1979 بتشجيع من المسرحي الكبير روجيه عساف، لتكرّ سبحة أعماله المهمة من «من حكايات 1936»، إلى «الجرس» (1991) في مونودراما تحاكم الحرب الأهلية التي كانت تحطّ لتوّها أوزارها وليس انتهاء بأعماله الكبيرة مع الرحابنة مثل «آخر أيام سقراط» (1988)، و«حكم الرعيان» (2004) «جبران والنبي» (2005) وغيرها.

نجمة الإصدارات

في ما يخص الإصدارات، يفرض العدوان على غزة حضوره في هذه الدورة من «معرض بيروت للكتاب»، إذ بادرت «دار النهضة العربية» (بيروت) إلى إطلاق ثلاث مجموعات قصصية تحمل عناوين «خارج الفصول تعلّمت الطيران» و«النوافذ كتبٌ رديئة» و«طريق النحل» للكاتبة الفلسطينية شيخة حسين حليوى، إضافة إلى مجموعة شعرية بعنوان «الهوّة التي هي أنا»: الكاتبة المولودة عام 1968 في قرية ذيل العرج البدوية على سفح جبل الكرمل وتعيش منذ عام 1989 في يافا المحتلّة لفتت الأنظار منذ أول أعمالها القصصية «سيدات العتمة» (2015) إلى نوع جديد من السرد في الأدب الفلسطيني تحت الاحتلال يحتفي بالذات والأحلام والبطل الهامشي ويتأرجح بين الواقع والخيال ويعالج ثيمات إنسانية ووجودية معقّدة، ما أهّلها للفوز بجائزة «الملتقى» للقصة العربية القصيرة في الكويت (2018). كما تبرز مجموعتان قصصيتان للكاتبة الفلسطينية نيروز قرموط في إصدار مشترك بين «دار ميريت (القاهرة) و«دار رايـة» (الشارقة/فلسطين)، الأول بعنوان «عباءة البحر وقصص الجديلة» يضمّ 15 قصة قصيرة، والآخر بعنوان «عبور: متوالية قصصية» كناية عن بورتريهات مُلتقطة بحدقة سينمائية تعرض مشاهد وتناقضات الحياة اليومية في فلسطين، في غزة والقدس ومدن الضفة وصولاً إلى أراضي الـ 48 ومخيّمات الشتات في الخارج، بما تزخر به من تفاصيل حياة النساء والأطفال والشباب، في تركيز على سؤال الهوية الإنسانية في التاريخ والجغرافيا بحبكة لا يعوزها التناغم داخل الفوضى، وتحدي الإنسان لآلة الاحتلال والقهر والظلم. الكاتبة المولودة في مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين عام 1984 التي انضمّت إلى أسرتها في قطاع غزة عام 1994، توظّف في السرد لغة نسوية مناضلة وجريئة. إذ إنّ قصة مثل «كيف تستعيد النساء أجسادهنّ بعد الحرب» تتكشّف عن قالب تشويقي ولغة استعارية مكثفة «تصل الودّ بين صحراء وبحر، وتحقن الألم بين مدينتين»، مزاوجةً بين مدينتي غزة والقاهرة عبر مناقشة أعمال النساء البسيطة والناعمة، التي تلامس أدق التفاصيل المكوّنة للنسيج الاجتماعي، فالبطلة «تتمتع بقامة رصينة، مشدودة الساقين، محبّة للرقص، تجيده بثبات فرس تعلم كيف تقف على ساقيها. وأخذت تعلّم النساء فنّ الرقص في الغرف المغلقة عندما تنبعث أصوات التراويح من المسجد. كنّ النساء يدمجن بين صلاتهنّ ورقصهنّ، كنّ قدّيسات وعاهرات، كنّ ذلك التناقض الذي يشدّ الحياة إلى كونها حياة. كانت الحرب من أجل بيع الأسلحة، وكان الرقص من أجل تعليب الحزن في فرح جديد. كنّ يتوافدن واحدة تلو الأخرى، خائفات من سطوة سلطة دينية ترفض الاهتزازات في قلوبهنّ على ارتجاجات الموسيقى». أما في مجال الشعر، فيخصّص الشاعر اللبناني بول شاوول أهل غزة وفلسطين بمجموعة بعنوان «الذين يموتون خلف أعمارهم» وهو عمل ملحمي يهديه صاحب «بوصلة الدم» إلى أطفال غزة، الذين يجترحون معجزة الحياة والصمود في مواجهة آلة القتل والبطش الصهيونية المجرمة، في تصعيد للغة شاوول الشعرية التي طبعت تجربته المهمة، حيث يتبدى الواقع عارياً ونارياً تحت قصف الطائرات وتصدّعات الحجر والبشر، في نشيد يحتفي بالحياة المسروقة من براثن الموت والدمار. تجدر الإشارة إلى أن الكتاب يصدر في طبعته الثانية بعد نفاد طبعته الأولى عام 2009.

نقد وشعر وسياسة

لا يغيب النقد الأدبي عن إصدارات المعرض، إذ يخصّص الناقد والأستاذ الجامعي علي نسر كتابه الجديد «في شعرية القصيدة العربية» (النهضة العربية) لدراسة تطوّر النظام الشعري عبر نصوص مختارات بَدءاً من العصر الجاهلي، مروراً بالعصر الأموي، والعباسي، وعصر النهضة وصولاً إلى الحياة المُعاصرة وتحديداً عصر التغريدات والنصوص «الفايسبوكية» التي أسهمت في تطوّر النصّ الشعري بشكل لافت، ويحتفي المعرض بأصوات روائية جديدة تطلق باكورة أعمالها مثل اللبنانية حنين الصايغ في روايتها «ميثاق النساء» (دار الآداب) التي تغوص في البنية الاجتماعية والدينية لإحدى الطوائف اللبنانية وتميز بين الجميل من التقاليد وما يسبب السكوت عنه تعاسة اجتماعية ونفسية عبر الرضوخ المتوارث والسلطة البطركية بجميع أشكالها، وكذلك تحضر أصوات شعرية مخضرمة كالشاعر مردوك الشامي الذي يصدر مجموعة شعرية بعنوان «الشاهد الأعمى» عن «منتدى شواطئ الأدب». تحضر السياسة بكل إشكالاتها في البرنامج الثقافي عبر ندوة بعنوان «المسيحيون والسياسة في العالم العربي» يشارك فيها الوزير السابق طارق متري والباحثان نايلة طبارة وأنطوان سعد ويدير الحوار زياد الصايغ (الرابعة والنصف مساء يوم 25/11). لا يغفل برنامج المعرض كذلك عن الأزمة المعيشية الصعبة التي يرزح تحتها لبنان فيفرض الكلام الاقتصادي نفسه عبر ندوة «إخفاق صندوق النقد الدولي في معالجة أزمة لبنان واقتراح خطة بديلة: دور القطاع الخاص في النهوض الاقتصادي» (السابعة والنصف من مساء يوم 24/11) التي تستضيف كلاً من الخبيرين منير راشد ورمزي الحافظ وتديرها سلوى السنيورة بعاصيري. كما تندرج ضمن فعاليات المعرض ندوة أخرى بعنوان «الخيار الاقتصادي البديل» يشارك فيها الباحثان البير داغر وأنطوان أبي زيد ويدير الجلسة الدكتور عصام خليفة (الرابعة والنصف من عصر يوم 26/11)، ويتضمن البرنامج حواراً مع الوزير السابق شارل رزق حول كتابه «اللحظة القومية الراهنة» (دار النهار، بيروت) يحاوره القاضي زياد شبيب (الخامسة مساء يوم 23/11)، وفي لفتة علمية-قانونية، يحضر الذكاء الاصطناعي في ندوة بعنوان «المفاعيل القانونية والأخلاقية للذكاء الاصطناعي» للباحثين أنطوان قربان وندى نصار شاوول (السابعة والنصف مساء يوم 25/11)، إضافة إلى احتفاء المعرض بـ«بيروت عاصمة الإعلام العربي لعام 2023» في لقاء إعلامي بعنوان «هنا بيروت الريادة والمستقبل» (الرابعة مساء يوم 24/11) برعاية وحضور وزير الإعلام زياد المكاري. ويتخلل الحدث الذي يقدمه الإعلامي شادي معلوف مشاركة موسيقية لفرقة الفنان اللبناني هياف ياسين وإطلاق الإعلامية ماجدة داغر لكتابها «وجهة أخرى للزمن».

> يخصّص الشاعر اللبناني بول شاوول أهل غزة وفلسطين بعمل ملحمي

برنامج منوّع للأطفال

للأطفال حصّتهم أيضاً في فعاليات المعرض، إذ تُخصّص لهم مسرحية «صابر والعيد» بعرضين اثنين يومي الإثنين (27/11) والثلاثاء (28/11) في الفترة الصباحية (العرض الأول: 10-11 صباحاً والعرض الثاني 11h30-12h30)، إضافة إلى مسرحية «الغراب الأسود» (الأربعاء 29/11 العرض الأول 10h30-10h، صباحاً، والعرض الثاني 11h30-11h) ومسرحية «أرقص معي» (الخميس 30-11 الساعة العاشرة صباحاً) ومسرحية «إضراب في جسدي» (الساعة 11h30 صباحاً)، كما تُختتم أنشطة الأطفال بورشتَي حكي وأنشطة لإيهاب القسطاوي بعنوان «محاكمة طيور بريئة» و«السلاحف تنظّف الشواطئ» يومَي الجمعة (1/12) والسبت (2/12) بين الساعة 10 صباحاً و12 ظهراً.

«معرض بيروت العربي الدولي للكتاب 65»: بدءاً من الغد حتى الثالث من كانون الأول (ديسمبر) ـ من الساعة العاشرة صباحاً حتى التاسعة مساءً ـ «مركز سي سايد أرينا» (واجهة بيروت البحرية).

للأطفال حصّتهم مع عروض مسرحية وورش حكي

طوفان الأقصى

شهود على محرقة القرن

أهلّه الأندري

في يوم حرية الصحافة العالمي قبل أربع سنوات، كتبت فرح عمر (1998 ـ 2023) على حسابها على تويتر: «تحية إلى روح شهداء الصحافة الذين دفعوا حياتهم مقابل معرفة الحقيقة، تحية إلى المعتقلين والمعذّبين بغية إسكاتهم والذين يتحمّلون المخاطر والتهديدات من أجل نقل الواقع كما هو». أمس، التحقت مراسلة «الميادين» مع مصوّر القناة ربيع معماري (راجع مقال الزميلة زكية الديراني) بقافلة تمتدّ من لبنان إلى غزة التي ودّعت 62 صحافياً حتى لحظة كتابة هذه السطور. لقد حوّل الكيان العبري «الحرب الذي يشنها على قطاع غزة، إلى أكبر مقتلة للصحافيين في التاريخ الحديث» وفق تصريح لـ«المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان».

منذ عملية «طوفان الأقصى» في السابع من تشرين الأول (أكتوبر) والاحتلال يستهدف الصحافيين والإعلاميين بشكل مباشر، هؤلاء الذين، على خطى شيرين أبو عاقلة (1971 ـ 2022)، أخذوا على عاتقهم فضح جرائمه وتعرية وجهه الفاشي القائم على ثقافة الإبادة. لقد جنّ جنون إسرائيل منذ اليوم الرابع من عدوانها على غزة، حين خسرت معركة الصورة، ولم تنفع الإعلانات المدفوعة التي نشرتها على منصّة X وبوتيوب في خدمة سرديّتها المزيّفة. رأى العالم بأم عينيه محرقة القرن مباشرةً على الهواء، ما ولّد صحوةً حقيقية في شوارع العواصم الغربية، فعمّت التظاهرات الساحات والمدن، وانهالت الفيديوات على تيك توك لمواطنين (من كل الأعمار) يتحدّثون عن الخداع الذي تعرّضوا له لسنوات من المنظومة الإعلامية المهيمنة المتحازة لاستعمار الإسرائيلي. لقد غيّرت غزّة المعادلة، وخلقت وعياً فكرياً وسياسياً جديداً، وصارت فلسطين لـ«الجيل زد» جزءاً من صراعه مع المنظومة السائدة وسعيه لعالم أكثر عدالة (الأخبار 2023/11/8).

كان طبيعياً بالتالي أن تلجأ إسرائيل إلى ما تُجيده: الضغط باتجاه كتم صوت فلسطين على منصات التواصل الاجتماعي، وتصفية الإعلام. لعبت ورقة الترهيب وممارسة الضغوط السياسية على بعض الفضائيات العربية. نجحت في بعض الحالات، فيما أقفلت مكاتب فضائيات أخرى في فلسطين المحتلّة من بينها «الميادين» بعدما تعرّض مراسلوها هناك لمختلف أشكال التخويف والتهديد. في مواجهة أسطول إعلامي غربي وعربي قرّر بيع روحه للشيطان وتزوير الحقيقة وكتم صوت القطاع المذبوح، وقفت حفنة اختارت أن تشهد للحق ولرسالتها الإعلامية. اختارت الحقيقة الساطعة كغزّة السوّاط بالأرض وأطفالها المقطّعين أشلاءً. رفضت سياسة «الحياد الكاذب» التي يمارسها بعض شهود الزور الذين يستضيفون العدو، ويستمعون إليه كخادم طيّع، وهو يروّج على مسامعهم سرديّته المبرّرة للإبادة الجماعية والتطهير. ومن ثم يُطرحون الصوت حين تعلو الأصوات المستهجنة، فيهرع إليهم «فرسان الحرية» ليتضامنوا معهم، رافعين شعار: «نعم لحرية استقبال القاتل»!

العدو الإسرائيلي يستهدف الإعلام اللبناني من جديد

فرح عمر وربيع معماري شهِدا بالصوت والصورة و... الدم

زكية الديراني

«ما زلنا في ساعات الصبح الأولى نتابع التطوّرات في القطاع الغربي للمناطق في جنوب لبنان. المقاومة الإسلامية افتتحت عملياتها اليوم صباح الباكر، ردّاً على استهداف منازل المدنيّين أمس». بهذه العبارة افتتحت فرح عمر مراسلة قناة «الميادين»، أمس رسالتها الأخيرة من القطاع الغربي لجنوب لبنان، قبل أن يستهدفها العدو الإسرائيلي مع زميلها المصوّر ربيع معماري والشاب المرافق لهما حسين عقيل بصاروخ أثناء تواجدهم في منطقة طيرحرفا (قضاء صور - جنوب لبنان).

كان صباح أمس عادياً بالنسبة إلى الشهيدة فرح عمر (1998 ـ 2023). أطلّت في مداخلة ظهراً مباشرةً على «الميادين»، متحدثةً عن جولتها المعهودة الموكلة إليها منذ اندلاع العدوان على غزة وتصاعد الاشتباكات بين المقاومين والعدو في جنوب لبنان. بعد ساعة تقريباً على رسالتها الأخيرة، صارت فرح عمر هي الخبر بعدما ارتقت شهيدة مع زميلَيها.

مع انتشار خبر استشهاد عمر وزميليها، استعاد بعض الناشطين تغريدات المراسلة على تطبيق x. قبل أيام، غرّدت فرح قائلة «محاولات إسرائيلية متجدّدة لترهيب الصحافيين، لا تسكتوا وافضحوا جرائم الاحتلال». في إشارة إلى عملية الترهيب والتخويف التي يتعرّض لها الصحافيون منذ اندلاع العدوان على غزة، ومحاولة إسكاتهم بعد كشفهم جرائم العدو في غزة.

لكن كما في كل حادثة مؤلمة، تسابق بعض المغرّدين على منصة x لنشر صور جثامين الشهداء الثلاثة قبل أن تخرج دعوات لحذف تلك الصور.

هكذا، كانت الصحافة مرة جديدة في مرمى نيران العدو الإسرائيلي منذ اندلاع العدوان على غزة في السابع من تشرين الأول (أكتوبر) الماضي. في 13 تشرين الأول الماضي استشهد مصوّر وكالة «رويترز» عصام عبدالله، وأصيبت مراسلة قناة «الجزيرة» ومصوّرها كارمن جوخدار وإيلي براخيا، إلى جانب إصابة المصورة الفوتوغرافية لدى وكالة «فرانس برس» كريستينا عاصي ومصوّر الفيديو لدى «فرانس برس» ديلان كولينز، ناهيك باستشهاد 62 صحافياً ومصوّراً فلسطينياً. كذلك، استهدف العدو عائلات الصحافيين في فلسطين على رأسها عائلة مراسل قناة «الجزيرة» في غزة إسماعيل وائل الدحدوح، ما أدى إلى استشهاد عدد منهم.

> ستعزّز القناة فريقها الصحافي في جنوب لبنان

وكانت فرح عمر قد انضمّت إلى «الميادين» قبل عامين تقريباً كمراسلة من مختلف المناطق، قبل أن توكل إليها أخيراً مهام تغطية أخبار الحرب في الجنوب. أما ربيع معماري، فكان من أوائل المصورين الذين التحقوا بالمحطة التي تأسست عام 2012. وتلفت مصادر لنا إلى أنّ فريق «الميادين» موزّع في ثلاث نقاط في جنوب لبنان. فقد كانت الشهيدة فرح عمر وزميلها ربيع معماري يتوليان تغطية أخبار القطاع الغربي، بينما المراسل علي مرتضى يتولى القطاع الشرقي. أما المراسل حسين السيد وزملاؤه، فكانوا يغطون أخبار القطاع الأوسط. وتشير المصادر إلى أنّه بعد استشهاد عمر ومعماري، لن تغيب «الميادين» عن تغطية القطاع الغربي، بل سيخرج زملاؤها برسائل من المكان الذي استشهد فيه الصحافيون. وتكشف المصادر أن «الميادين» ستعزّز فريقها الصحافي في جنوب لبنان، في رسالة واضحة للعدو بأنها مستمرّة في تغطية الحرب مهما كلّف الثمن.

من جانبه، نعى رئيس مجلس إدارة «الميادين» غسان بن جدو الشهداء الثلاثة، قائلاً في بيان بأنه «كان استهدافاً مباشراً. أعتقد أن الإعلام العربي الآن، الفلسطيني، واللبناني، والعربي بشكل عام، يُستهدف من جديد من قبل الاحتلال الغادر». وتابع: «أقول للعدو الإسرائيلي إنك لن تستطيع إسكات صوت «الميادين». باقون ومستمرون في تغطيتنا وعملنا الصحافي الشريف الذي تعدّ أولويته تغطية جرائم الاحتلال في غزة والضفة وفلسطين ولبنان».

ليس استهداف العدو لفريق «الميادين» الأول، ففي الفترة الأخيرة شهدت القناة التي تتخذ من بيروت مقراً لها، تضييقاً بارزاً من قبل العدو بسبب تغطيتها للحرب على غزة. قبل أسبوعين، صادق «الكابينت» الإسرائيلي، على قرار يقضي بإيقاف عمل «الميادين» في فلسطين المحتلّة. وطالب وزير الاتصالات الصهيوني شلومو قرعي بإغلاق مكاتب المحطة ومصادرة معدّات البثّ، ومنع استخدام البنى التحتية للاتصالات المختلفة لهيئة البث وفقاً لـ«أنظمة الطوارئ» لدى العدو وحكومته.

وسبق قرار «الكابينت» تضييق على مراسلي «الميادين» في فلسطين المحتلة. فقد أعلن مدير مكتب المحطة في فلسطين ناصر اللحام أن قوات الاحتلال اعتدت على زوجته وولديه، واقتحمت منزله في بيت لحم جنوب الضفة الغربية. وتبعه لاحقاً كشف مراسلة «الميادين» هناء محاميد في القدس المحتلة، عن تعرّضها لمضايقات من قبل المستوطنين الإسرائيليين (الأخبار 2023/11/9).

استشهاد صحافيتين في غزّة

لا يزال أهل الإعلام في صدارة بنك أهداف قوات الاحتلال الإسرائيلي في حرب الإبادة التي تشنّها على غزّة. بعدما نشرت فيديوات عدّة تتناول جنون آلة الحرب في منطقة الشمال، استشهدت الصحافية الفلسطينية آيات خضورة مع مجموعة من أفراد أسرتها، أوّل من أمس الإثنين، في قصف إسرائيلي على منزلهم في بيت لاهيا. وفور انتشار الخبر، راح روّاد مواقع التواصل الاجتماعي يتداولون فيديوات خضورة، وخصوصاً المقطع المصوّر الأخير الذي نشرته ورجّحت أن يكون الأخير لها بسبب ضراوة القصف المعادي واستخدام الإعلامية. يُعتبر ضمّ الخرائط خطوةً نوعيةً قام بها الإعلام الحربي في هذه الحرب، إضافة إلى الملخّص اليومي لعمليات المقاومة إلى جانب استخدام المشاهد التشبيهيّة، والمصطلحات الدقيقة لبعض الأسلحة والمسيّرات، وتمرير بعضها في المشاهد، والتلميح لأسلحة لم تُستخدم بعد، مع ما يحمله ذلك من رسائل رادعة.

ومن جملة تأثيرات الفيديوات الحربية، أنها دحضت مزاعم العدو في نكران الخسائر البشريّة، وإرجاع الكثير منها إلى «انقلاب دبابة»، حيث توثّق عدسة المقاومة «ابتلاع» جنود العدو الصواريخ، وحتمية مقتلهم. ودحضت كذلك تسخيف الخصوم مسألة استهداف «الأعمدة» على الحدود. توضيحاً للخصم، واحتراماً لجمهوره، أعدّ الإعلام الحربي مقطع فيديو مفصّلاً عن دور التجهيزات التقنيّة للعدو جنوباً في التجسّس واختراق خصوصية اللبنانيين، والرصد والتنصّت على الاتصالات واختراق الإنترنت والتشويش والتواصل مع العملاء. ومن الأدلة على أهمية هذه التجهيزات، عمل العدو الحثيث على إعادة الترميم ولو في نقاط أبعد، والمخاطرة بجنوده، وتكثيف عمل المسيّرات التجسسيّة للاستعاضة عن هذه الخسائر.

وما لا يعرفه كثيرون أنّ مهمة المصوّر في الإعلام الحربي، ومن خلفه، مهمّة معقّدة، دونها تحدّيات كبيرة، أبسطها التقاط الصورة، مع الإشارة إلى أنّ جزءاً كبيراً من هؤلاء الشباب المصورين، هم من شباب التعبئة المتطوّعين المندفعين، وقد سقط منذ بداية الحرب شهيد للإعلام الحربي، هو من شباب التعبئة. عَمَلُ هؤلاء استشهاديّ خالص، حالهم حال رامي الصواريخ، تحت أعين المسيّرات. وهم شركاء أساسيّون في تحقيق الانتصار، وفي حرب الصورة مع العدو الإسرائيلي. وجُلّهم يعمل وفي خلفيته قناعة يقينيّة بأن ثقافة الصورة جزء أصيل من المعركة، وأن مهمته لا تقلّ أهمية عن مهمة أي مقاوم فدائي. هم جيل معايش للثورة الرقميّة، يدرك أهمية الصورة وتركيبتها، والتبيان بالأدلة، ولا سيما على وسائل التواصل الاجتماعي.

تحدّيات التوثيق في المعارك

ويمكن تلخيص أبرز التحدّيات التي يواجهها المصوّر في ميدان المعركة بالآتي:

● تحدّي الجغرافيا: يتمثّل في صعوبة أخذ الزاوية المناسبة لالتقاط الهدف بأفضل صورة ممكنة، وفق النقطة والتضاريس التي تحكم عمل المصوّر، وطريقة التخفّي قبل وبعد وأثناء التصوير. وهو يشمل تحدّي البيئة المحيطة، إذ تُقيّد الظروف طريقة التغطية، حيث يواجه صعوبة أحياناً في ما يخصّ الرؤية والمسافة، وتحدّي الطقس من ضباب وغير ذلك.

● تحدّي الزمان الذي يتمثّل في اختيار التوقيت المناسب لالتقاط المشاهد.

● تحدّي الحفاظ على المادة بعد التصوير الذي يتمثّل في انتقال المصوّر إلى مكان آمن، بعد استهداف المقاومة الذي يستدعي تحركاً سريعاً للعدو، للردّ على مصادر إطلاق النيران. فهو يحافظ على هذه المادة، كما يحافظ المقاوم على سلاحه بكل ما أوتي من قوّة.

مع كل هذه التحدّيات، نجح الإعلام الحربي في مقارعة العدو بالصورة، وأقرّ مراقبون غربيون متخصّصون في الشؤون العسكريّة، «بالمستوى العالي لتصوير العمليات وإظهارها باحترافية». وفي عصر حرب الصورة،

> جيل عايش الثورة الرقميّة وادرك اهمية الصورة، ولا سيما على وسائل التواصل الاجتماعي

لا تقلّ مواجهة العدو بهذا الجانب عن مجابهته عسكرياً. فالمعارك العسكريّة تتوقّف، لكن الحرب على الوعي تستمر من دون هوادة. فلا نتوقع أن يخرج العدو، مع كل رقابته وتشديده، ليعترف بخسائره، إلا أن عدسة الإعلام الحربي مزّقت هذه الرقابة إلى غير رجعة.

من جهة العدو، الأمر مختلف. هو يبذل جهداً لاستقطاب صحافيين في الأماكن التي يُحدّدها، بسبب ذعر المراسلين الإسرائيليين. هنالك اختلاف ثقافات ظهر أثناء تغطيات المراسلين الحربيين للعدو، قياساً بتغطية الصحافيين الموالين للمقاومة من جانب لبنان. إضافةً إلى ذلك، يعمل العدو بشكل حثيث على إجراء تعتيم إعلامي واسع للخسائر المادية والبشرية، ورقابة على النشر وعلى صحافييه هي الأشدّ في تاريخه، و«تكتّم شديد على التكتيكات العسكرية التي يعتمدها، لمنع عدوّه، أي حزب الله، من فهم ما يحدث في الميدان، فيصعب عليه اتخاذ القرارات الصائبة». هو لا ينفكّ، للسبب عينه، يقتل ويهدّد الإعلاميين ويستهدفهم لمحاولة إسكاتهم، سواء في لبنان أو في فلسطين المحتلة، أو غيرهما. كثيرون فُصلوا من مؤسسات عملهم بسبب مواقفهم الداعمة لغزّة. ولا تقتصر حربه الإعلاميّة على الصحافيين فقط، بل تطال النخب الثقافية والفنيّة والاجتماعيّة والمؤثرين، لإسكات كل صوت مناهض لجرائمه، إضافة إلى سعيه المتكرّر لقطع الاتصالات والإنترنت في مناطق النزاع، والتفاف كبريات شركات وسائل التواصل معه، والتضييق على المحتوى الرقمي المقاوم. هنالك حرب ثانية تُخاض في العالمين الإعلامي والرقمي، لا تقلّ شراسة عن الحرب العسكريّة الدائرة. متابعة لصفحة الناطق باسم «جيش» العدو أفيخاي أدرعي، وغيرهم من توابعه المتوجهين إلى الجمهور العربي، تظهر أنّ هؤلاء فشلوا في إقناع الجمهور بالكثير من رواياته، وقد اضطر في مرّة لاستخدام مشاهد لغارات في سوريا على أنها في غزّة، والإعلان عن انتصار وهمي تمثّل في الكشف عن صورة زعم أنها تعود للناطق العسكري باسم «كتائب القسّام»، وهي صورة نشرها العدو قبل تسعة أعوام، وغيرها من الصور التي تبيّن أنها تعود لتواريخ قديمة. المفارقة أن أهم الوكالات والصحف (CNN، «الغارديان»، «نيويورك تايمز» وغيرها) التي تتبنّى رواية العدو، لم تستطع هضم مسرحية الأسلحة في «مستشفى الشفاء» في غزّة التي كانت رواية إضافية في سلسلة رواياته الهوليوودية. وكل ذلك إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على أهمية الحرب الإعلاميّة، حيث تُعتبر عدسة الإعلام الحربي درّة تاجها.

تطوُّر العمل الإعلامي لدى المقاومة، ومحاولة ترسيخ الرواية الصحيحة، أمر سيسهم في هزيمة سردية العدو الإسرائيلي وينخفض تأثيره في الإقناع، ونشهد اليوم صحوة حقيقيّة خارج هذه الرواية في كل أرجاء العالم، ظهرت جليّاً في التظاهرات ولدى الشخصيات المؤثّرة في الرأي العام، وفي التضامن الرقمي الواسع.

ترسيخ سرديّة المقاومة ومخاطبة الرأي العام

كاميرا الإعلام الحربي... درّة التاج!

في 18 أيلول (سبتمبر) 1986، وثّقت المقاومة اللبنانية أول عمليّة مصوّرة تمثلت في اقتحام موقع سجد. في تلك اللحظة، تأسّس الإعلام الحربي بشكل رسمي. منذ ذلك الحين، تركت عدسة المقاومة أثرها الكبير على المعارك مع العدو الذي اصطيح بـ«عقدة الصورة»

إيمان بشير

تخبّلوا لدقائق، لو أن عشرات العمليات التي تنفّذها المقاومة الإسلاميّة على الحدود مع فلسطين المحتلّة، لم تكن موثّقة بالصوت والصورة. في 18 أيلول (سبتمبر) 1986، وثّقت المقاومة أول عمليّة مصوّرة تمثلت في اقتحام موقع سجد، وأسّس الإعلام الحربي بشكل رسمي. منذ ذلك الحين، تركت عدسة المقاومة أثرها الكبير على المعارك مع العدو، ولا سيما في تحرير الجنوب عام 2000. رافقت «عقدة الصورة» العدو الإسرائيلي في جميع معاركه، أهمها عقدته في حرب صورة العلم ورفع الراية. ويمكن القول إنّ جزءاً كبيراً من الحرب التي تقودها «إسرائيل» منذ السابع من تشرين الأول (أكتوبر)، هي بهدف ترميم صورتها المهشّمة، في محاولة لإزالة وصمة عار «طوفان الأقصى». وفي الوقت الذي يبحث فيه الاحتلال عن صورة انتصار له، تُقرّ وسائل إعلام العدو ومحلّليه بأنّ حزب الله «حقّق إنجازات على مستوى الوعي»، وأنه «يستخدم ببراعة الحرب النفسيّة عبر نشر مقاطع فيديو للعمليات، وشرح لموقع العمليّة الجغرافي عبر تحديده نقطة فيديوات خضورة، وخصوصاً المقطع المصوّر الأخير الذي نشرته ورجّحت أن يكون الأخير لها بسبب ضراوة القصف المعادي واستخدام الإعلامية». يُعتبر ضمّ الخرائط خطوةً نوعيةً قام بها الإعلام الحربي في هذه الحرب، إضافة إلى الملخّص اليومي لعمليات المقاومة إلى جانب استخدام المشاهد التشبيهيّة، والمصطلحات الدقيقة لبعض الأسلحة والمسيّرات، وتمرير بعضها في المشاهد، والتلميح لأسلحة لم تُستخدم بعد، مع ما يحمله ذلك من رسائل رادعة.

ومن جملة تأثيرات الفيديوات الحربية، أنها دحضت مزاعم العدو في نكران الخسائر البشريّة، وإرجاع الكثير منها إلى «انقلاب دبابة»، حيث توثّق عدسة المقاومة «ابتلاع» جنود العدو الصواريخ، وحتمية مقتلهم. ودحضت كذلك تسخيف الخصوم مسألة استهداف «الأعمدة» على الحدود. توضيحاً للخصم، واحتراماً لجمهوره، أعدّ الإعلام الحربي مقطع فيديو

الأخبار
al-akhbar
الاربعاء 22 تشرين الثاني 2023 العدد 5068

هوامش على دفتر «الطوفان»

تتواصل التظاهرات الداعمة للفلسطينيين حول العالم في وجه آلة الحرب الإسرائيلية. شهدت الموانئ الأسترالية عدداً من التحرّكات الهادفة لعرقلة حركة سفن إسرائيلية. أمس الثلاثاء، تجمّع متظاهرون مؤيدون لفلسطين في ميناء «بوتاني» محاولين منع سفينة الحاويات «كالاندرا» المملوكة لشركة الشحن الإسرائيلية ZIM من إفراغ حمولتها، قبل أن تبعدهم الشرطة بالقوة. وكان الميناء الواقع في مدينة سيدني قد شهد في وقت سابق من الشهر الحالي خطوةً مشابهة، إذ ركب العشرات قوارب مائية صغيرة رافعين أعلام فلسطين، قبل أن يحاصروا سفينة شحن كبيرة تحمل أسلحة كانت تتحضّر للانطلاق إلى الكيان الصهيوني. واستطاع هؤلاء منعها من الإبحار وسط هتافات «كلّنا فلسطين». (ديفيد غراي ـ أ ف ب)

من المقاومين إلى رودني... تحية

«بنداء يا بتول الطُهر... يا مريم المقدّسة» لبّى مجاهدون في «حزب الله» طلب رودني حدّاد. فقد حلّ الممثّل اللبناني أخيراً ضيفاً على قناة «المنار»، وطلب من المقاومين على الحدود مع فلسطين المحتلة بإطلاق نداء «يا مريم العذراء» أثناء إطلاق صاروخ باتجاه العدوّ، لـ «أشعر أنّني مشارك... لأجل أطفال غزّة المسيحيين الذين لم ينتبه إليهم أحد... وكل أطفال غزّة مهما كانوا». لم يمرّ وقت طويل على الإطلالة، حتى نُفّذ الطلب حرفياً فيما وثّقه الإعلام الحربي بالصوت والصورة. مقطع مصوّر قصير، انتشر على مواقع التواصل الاجتماعي على نطاق واسع وحظي بتفاعل كبير، يُظهر المقاومين وهم يستهدفون موقع «الراهب» الإسرائيلي مع نداء: «يا

بتول الطهر ويا مريم المقدّسة». كثيرون اعتبروا الخطوة بمثابة تحيّة للفنان المعروف بمواقفه الوطنية وبتأييده للمقاومتين اللبنانية والفلسطينية. علماً أنّ حدّاد لفت الانتباه منذ اندلاع العدوان الإسرائيلي على غزة الشهر الماضي، بآرائه الصارخة المدافعة عن القضية الفلسطينية في وقت التزم كثيرون من زملائه الصمت إزاء ما يجري.

كتّاب تونس يتضامنون مع فلسطين

افتُتح يوم الأحد الماضي في Préface في مدينة سوسة التونسية الساحلية معرض للكتاب يستمرّ

لغاية 3 كانون الأوّل (ديسمبر) المقبل، تحت عنوان «الكتّاب يتضامنون». نُظّم الحدث بمبادرة من المهندسة والناشطة في مجال الثقافة، رانيا الحمامي (الصورة)، التي دعت الكتّاب المؤمنين بفكرة التضامن مع الشعب الفلسطيني إلى المشاركة في معرض ستخصّص كل عائداته لدعم المقاومة الفلسطينية في غزة برعاية الهلال الأحمر التونسي الذي يشرف على المبيعات وتحويلها لاحقاً إلى الحساب الذي أنشأته تونس لدعم المقاومة الفلسطينية. يجري المعرض بمشاركة عدد كبير من الكتّاب والأكاديميين، من بينهم: أستاذ الحضارة وتاريخ الأديان في الجامعة التونسية توفيق بن عامر، والروائية والأستاذة الجامعية أميرة غنيم، والروائية مسعودة أبو بكر، والإعلامي والكاتب محمد علي خليفة، والشاعرة رجاء بن حليمة، والصحراوي قمعون، والقاص سفيان رجب، وغيرهم. أما الأعمال المدرجة ضمنه، فيتجاوز عددها المئة، فيما تتخلّل الأنشطة ثلاث أمسيات شعرية، وندوة حول أدب المقاومة. وقالت الحمامي إنّ المعرض أشبه بـ «صرخة احتجاج ضدّ آلة القتل الصهيونية التي تحصد أرواح الأطفال وتدمر البيوت والمستشفيات والمدارس... هي تعبير من الكتّاب عن تضامنهم مع فلسطين وشعبها الذي يتعرّض للإبادة في غزة». ولقيت هذه المبادرة صدى إعلامياً واسعةً، وهي جزء من حراك ثقافي كبير تعيشه تونس منذ بداية العدوان الإسرائيلي على غزة الشهر الماضي، إذ أصبحت فلسطين هي العنوان الرئيسي لمعظم الأنشطة الثقافية في البلاد.

ياسين بونو الإنسان والملهم

بعد ساعات على انتشار مقطع فيديو لطفل فلسطيني جريح يرغب في الحديث مع حارس المنتخب المغربي ونادي «الهلال» السعودي لكرة القدم، ياسين بونو (الصورة)، لبّى الأخير النداء. هكذا، انتشر مقطع مصوّر للطفل الفلسطيني عاصف أبو مهدي الذي بُترت قدمه جرّاء القصف الإسرائيلي على غزة، تحدّث أثناءه عن أمنيته برؤية قدوته ياسين بونو «لو على قدم واحدة» وحلمه أن يصبح حارس مرمى. كما تمنّى الطفل بأن يعالجه بونو ومساعدته على تركيب طرف صناعي. وعندما رأى بونو الفيديو، حقق جزءاً من أمنيات الطفل الجريح، عبر اتصال هاتفي عبر تقنية الفيديو، مساء أوّل من أمس الإثنين. وفي المكالمة، اطمأن بونو على حال أبو مهدي، واعداً إياه بلقائه شخصياً في المستقبل. وعند انتهاء الاتصال، أكّد والد الطفل أنه سعيد بالمكالمة وأجهش في البكاء. موقف مشرّف جديد للاعبي كرة القدم، بخاصة المغاربة منهم في إطار دعمهم فلسطين ولو معنوياً. علما أنّه في أي مباراة لهم، يرفع «أسود الأطلس» العلم الفلسطيني خلال احتفالهم مع الجمهور.

على بالي

أسعد أبو خليك

كلّ شيء سيتغيّر بعد غزة. لا، كل شيء يجب أن يتغيّر. يجب أن نُعيد النظر في كل شيء: في الأحلام وطعم المياه ونظرتنا إلى شروق الشمس. نحن نعيش بعدما فقدنا أكثر من عشرة آلاف من أفراد عائلتنا. أكثر من خمسة آلاف طفل. من ينسى أفراد عائلته وقد قُتلوا على يد عدوّنا التاريخي؟ عدوّنا التاريخي يقول لنا، أمام العالم أجمع وبكلّ اللغات، إنّه يحتقرنا وإنّنا أشبه بالحيوانات، وإنّه لا يعاني من تأنيب الضمير عندما يقتلنا. كيف يمكن أن يبقى كل شيء كما كان؟ وزير الخارجية السعودي قادَ مجموعة من وزراء الخارجيّة العرب في رحلة إلى... الصين. نطلب العلم في الصين، صحيح، لكن نطلب وساطة الصين لوقف عدوان إسرائيل؟ واشنطن أقرب بكثير من الصين، على بُعد رمية حجر من الرياض. الرياض لم تكتفِ بتنظيم «موسم الرياض» (الذي جمع أسوأ ما صدر في الفن اللبناني)، بل تنظّم (وفق ما أعلن تركي آل شيخ، قيصر الثقافة في العالم العربي) أوّل مهرجان عالمي للكلاب. بجدّ. هناك تشفٍّ وشماتة في الإعلام والترفيه السعوديين بغزة. وقف تركي آل شيخ وجاهر بالترويج بنفسه لمطاعم «ماكدونالدز» التي قدّمت وجبات مجانيّة لجنود الاحتلال. كيف يمكن لمسار التطبيع أن يمشي كما كان؟ ماذا نحن فاعلون؟ مشاهد التظاهرات من واشنطن إلى لندن لافتة في حشدها، لكن أليس هناك غير اليمن الثائر الذي تفوّق في الحشد على تظاهرات الغرب؟ اليمن الجائع والمحاصر لم يكتفِ بتنظيم تظاهرات في كل مكان، بل زاد عليها في إطلاق الصواريخ ومصادرة سفينة إسرائيليّة المصدر. هذا العدد الهائل من الضحايا والدمار لا يجب أن يمرّ من دون حساب وعقاب. الأنظمة ليست في الوارد، كلّها من دون استثناء. تونس لا تزال تناقش ثم تجمّد قانوناً لتجريم التطبيع. بدأ هذا منذ الإطاحة بابن علي، وأميركا تتدخّل وتُجهض المشروع. لن نغتر. لكن ماذا نفعل بالغضب؟ يمكن أن يتحوّل إلى طاقة إيجابيّة ترفد العمل المقاوم في كل مكان كي نحقّق تحرير فلسطين. الشعار لم يعد خيالياً.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 828381 / 03
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com